الكتاب: الجيش، الذاكرة والهوية القومية

تحرير: موشيه نؤور

الناشر: ماجنس–الجامعة العبرية

تاريخ النشر: أيار ٢٠٠٧

عدد الصفحات: ٢٠٤

مراجعة: فادي نحاس

موضوع الكتاب: يناقش الكتاب العلاقة بين الجيش والمجتمع في إسرائيل وتحديداً الذاكرة التاريخية الجماعية وتأثيرها على تطور الهوية القومية. وذلك من خلال طرحه لعدد من المواضيع: دور الجيش في بناء الهوية الجماعية القومية، تأثير قادة الجيش على النظام السياسي وعمليتي اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية والأمن. تأثير الخدمة العسكرية على تكوين الهوية القومية للشباب المتدين القومي. وأيضاً، يناقش الكتاب العلاقة بين جهاز الأمن وجهاز التعليم العالي.

هنالك أسئلة كثيرة تطرح وتناقش بالكتاب: مثل وظيفة الرواية السياسية ببناء الهوية القوميّة وتأثير الكارثة على الهوية العامة والهوية الخاصة بالدولة. هل المجتمع في إسرائيل ينتقل من الهوية القومية الجماعية الواحدة إلى مجتمع مفكك متعدد القوميات؟

هذا الكتاب هو الخامس من سلسلة كتب: مواضيع مختارة في تاريخ الدولة والمجتمع. اشترك فيها باحثون بارزون في مجالات العلوم الاجتماعية والسياسية.

الجزء الأول:

المجتمع المجند والمقاتل

هناك طرح مكرّس عن السنوات الأولى لقيام إسرائيل، يتحدث عن وجود نقاط التقاء كثيرة بين الجيش والمواطنين في إسرائيل، أي انه كان هنالك تماثل بينهما. هذا اللقاء الوطيد والعلاقة المتبادلة أديا لخلق دولة "شعب بالزي العسكري" Nation in Arms بمعنى أن الجيش كان ذا مكانة عالية جداً ووظيفته لم تكن فقط عسكرية فقط بل وأيضاً اجتماعية، بحيث حوّل مجموعات عرقية أو جمهور غير متجانس في دولة جديدة إلى شعب ذي انتماء. فهو كان فعلياً مدرسة للمجتمع القومي.

هذه الوظيفة تمثلت أيضاً بمشاركته بجهاز التعليم والإعلام وتحويل المهاجرين لأبناء شعب واحد ومواطني دولة ذات سيادة مستعدين لحمل السلاح للدفاع عن دولتهم. هذا الطرح يتناغم مع اقتناع المواطنين أو المجتمع المدني المجند إن الحروب التي تخوضها الدولة هي بمثابة حروب للدفاع عن نفسها وللحفاظ على بقائها. وأنها تخوضها من منطلق الإجبار فهي حروب ليست باختيارية، وإنما "لا مفر منها" وسببها أعداء الدولة الذين لا يريدون السلام معها.

هذه الحقبة تميزت بالأمور التالية:

١. اعتبار الجيش رمزاً للمبادئ الايجابية في الدولة، إذ انه ينجح بالتغلب على الفروق الاجتماعية، وبمعنى آخر فهو يوحد المواطنين رغم اختلافاتهم الاجتماعية.

٢. الجيش ليس حكراً على مجموعة معينة سياسياً أو اجتماعياً، وهو ليس متعاطفاً مع مجموعة دينية أو اجتماعية منفردة بل هو جيش الشعب والذي يتبع للشعب بأسره.

٣. الجيش ليس جسماً سياسيا، ولكن أحد أهدافه هو خدمة الطرح السياسي الأيديولوجي القائل: ليس فقط جيش الشعب بل جيش الدولة وسياستها القومية–العرقية الواضحة، أي انه منفذ لسياسات الدولة أيضاً.

يمكن القول إنّ هذه الحقبة تميزت بالنظرة للجيش بأنه جسم ذو مكانة مركزية بالدولة واعتبرت الخدمة بالجيش إخلاصا للشعب.

من الطبيعي ان تكون هنالك ضبابية في التفريق بين الجيش والمجتمع، فالجيش

هو مشروع هذه الحقبة والتي سميت ب "الشعب ذو الجيش" والتي بدأت بالتغير في الثمانينيات، حيث بدأت الدولة بالتغير وظهرت شروخ واضحة في المجتمع وفي الطرح المقاتل الشامل.

أحد المظاهر لهذا التغيير كان حرب لبنان، فهذه الحرب كانت حرباً اختيارية بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي وخرجت عن البديهيات القومية. أسست حقبة "الشعب ذو الجيش" لقناعة أن الحروب تهدف للبناء وسببها خارجي وليست اختيارية. كانت هنالك ادعاءات كثيرة بأن إسرائيل قد دخلت هذه الحرب لتتدخل بالشأن السياسي اللبناني ولخلق نظام لبناني جديد دون أن تشكل مسببات هذه الحرب خطراً أمنياً واضحاً على وجود الدولة. وأيضاً، سير الحرب وقيادتها بشكل تعسفي، مغامر وتلقائي ساهم بكل هذا التغيير ولبداية حقبة جديدة تقر تصدع المجتمع الإسرائيلي، مما يؤدي لاحقاً إلى تكوين هويات مختلفة في الدولة.

هذه التغييرات أدت الى هبوط في مكانة الجيش، وهذا الهبوط انعكس أيضاً بالانتفاضة الأولى التي شكلت عاملاً آخر في سلسلة التغييرات، حيث ظهر الجيش بمظهر جديد غير مألوف، فبدا أنّ الجيش القوي وجيش الأمة يتعامل كشرطي مع أطفال ونساء عزل يرجمون الحجارة.

الحدث الثاني، كان حرب الخليج الأولى في أوائل التسعينيات التي لم يرد الجيش فيها على الضربات الموجهة لإسرائيل. إضافة ً إلى تواجد الجيش لسنين طويلة في لبنان لمقاتلة فلاحين يملكون سلاحهم الشخصي، ما أثار بشكل واضح النقد اللاذع. كل هذه الأحداث تزامنت مع تركيبة اجتماعية وسياسية مختلفة وغير متجانسة للجيش وخاصة لجيش الاحتياط. هذه التركيبة شكلت أحد العوامل الأساسية في تراجع مكانة الجيش ومكانة حقبة "الشعب ذو الجيش".

في الثمانينيات بدأت إسرائيل بالانفتاح على العالم ومنذ الإصلاحات الاقتصادية سنة ١٩٨٥ انفتح الاقتصاد الإسرائيلي على الأسواق العالمية ومر بخصخصة هي الأولى من نوعها في البلاد، فتحولت إسرائيل من دولة رفاه إلى دولة ليبرالية. هذه العملية أضعفت ليس فقط مكانة الجيش بل أيضاً مكانة الدولة، وأدت إلى تغييرات ذات أهمية بالغة بصبغتها. العولمة لم تقتصر على الناحية الاقتصادية فقط بل أثرت أيضا على الإعلام والسياحة والاستهلاك الثقافي. كل هذه الأمور أدت بالمواطن إلى الفردانية وأضعفت بشكل كبير تدخل وتأثير الدولة عليه، وعززت المبادئ الفردانية وحقوق الإنسان، وركزت على المواطن الفرد، حريته وحقوقه، نمط حياته، وهويته التي أصبحت غير واضحة نتيجة التقلبات.

لا يمكن التجاهل أن الجيش نفسه تسبب في الابتعاد عن نمط "شعب ذو جيش" وذلك بتحوله من سياسة جيش كبير شامل لكل النخب المجتمعية لجيش صغير وذكي يحوي أقل عدد من الجنود والمختارين بشكل انتقائي بناء على مهاراتهم وقدراتهم على الاندماج مع المتطلبات الجديدة له، كجيش تكنولوجي متطور وعصري.

تسمى هذه الحقبة "ما بعد الهيمنة" وهنالك من سمّاها "ما بعد الصهيونية". ومميزها الأساسي هو الفصل بين الجيش والمجتمع وبالتالي ضعف الهوية الجماعية. إن عملية أوسلو التي كانت أحد إفرازات هذه الحقبة وبروز المجتمع المدني ذي المبادئ الجديدة وكثرة الهويات هددت الإجماع الإسرائيلي الواسع. هذه الحقبة أبرزت أكثر من أي وقت مضى التصادم بين مبدأين: العالمي والأصولي. هذا التصادم كانت نتيجته الميدانية محاولة إفشال أوسلو بقتل إسحق رابين. هذه التغييرات وتعدد الهويات أبرزت مجتمعين منفصلين في الدولة. المجتمع القتالي الديني والمجتمع المدني. الفروق بين هذين المجتمعين والتي انعكست بأوسلو، معارضته، ومحاولة إفشاله برزت بالهوية، وبالنسبة للجيش بالربط بين الخدمة العسكرية والمشاركة في الحرب من جهة وبين الرأي السياسي للجندي من جهة أخرى. فهنالك كانت أصوات مثل "فشلنا كفاية ولا نريد أن نموت بعد". كل هذا التشديد على الفرد وكل هذه التغييرات سببها ضعف الدولة والجيش، إلا انه يجب التوضيح بأنه لم يطرأ تغيير على مكانة الجيش كجسم أساسي في اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية وأمن الدولة.

فالجيش تدخل دائماً بالعملية السياسية، المفاوضات الإسرائيلية–الفلسطينية، الإسرائيلية–السورية، وكل عمليات التحضير والتفكير وبناء الإستراتيجية والخرائط المقترحة كانت تقرر داخل الجيش وليس داخل الحكومة. ان تدخل مواطنين ذوي ماضٍ عسكري مثل ليفكين شاحاك وباراك بالانتخابات عام ١٩٩٩ عكس نظرية القيادة العسكرية بقناعتها بأهمية تدخل الجيش بصنع القرار، حتى ان شاحاك أعلن وبشكل صريح أن دخوله للساحة السياسية هدفه تغيير رئيس الحكومة نتنياهو والذي اعتبر أن سياسته تهدد أمن الدولة. انتخاب

ايهود باراك، رئيس الأركان قبل ذلك، ودخوله وزارة الدفاع مكنت الجيش من الحفاظ على مكانته كمشارك مركزي بصنع القرار السياسي المتعلق بالأمن والسياسة الخارجية. في هذا السياق يجب ان نشدد ان سلطة الجيش وتدخله بالعملية السياسية كان من مسبباتها ضعف الجهاز السياسي وتخبطه بعد دخول الدولة في حقبة الهويات والـ "ما بعد الهيمنة".

الجزء الثاني: الجيش والهوية القومية

منذ إقامة إسرائيل تعرض الجيش وبالأخص في العقد الأخير للواقع السياسي الذي سبب مواجهة بين النظرة الرسمية وبين وجود هويات مختلفة. في ظل هذا الواقع حاول الجيش دائماً الحفاظ على صلاحياته ليس فقط بعملية اتخاذ القرارات كما ذكر سابقاً بل أيضا بالمجال القضائي، بجهازه القضائي المستقل، وهذا من منطلق الحفاظ على قوته كجهاز عسكري، لكن إن تجاهلنا استقلالية الجيش وحفاظه على مكانته لا نستطيع أن نتجنب نقاط اللقاء بين الجيش والمجتمع، والتي أهمها الخدمة العسكرية وخاصة تجنيد جنود الاحتياط. هذا الجيش ما زال يضم فئة كبيرة من المجتمع ووظيفة مدنية أيضا، بحيث تشمل مجالات كثيرة مثل التربية والاستيطان بالإضافة إلى تأثير قادته على السياسة. نقطة مهمة في دور الجيش أيضا وهي تعليمه ومحافظته على اللغة العبرية.

لقاء الجيش مع المجتمع يخلق نقطة التقاء من نوع آخر، وهو اللقاء مع المجندين المتدينين الذين يمثلون المجتمع الديني في البلاد والمعروف بقوته وخاصيته وعزلته عن المجتمع العلماني. هذا اللقاء لا يأتي ليصقل المتدينين وليخلق لهم هوية قومية مناظرة لهوية المجتمع العلماني، بل يأتي ليعطيهم فرصة التوازن بين حياتهم، ثقافتهم عقائدهم الدينية وانتمائهم الديني من جهة وبين مخالطتهم واحتكاكهم مع المجتمع العلماني. السبب في ذلك أن المجتمع الديني يبني هوية الفرد فيه منذ صغره عن طريق تعليمه الدين والعقائد وبناء هوية الشباب فيه وثقافتهم قبل دخولهم للجيش. فلهذا يواجه الشباب مصقول الهوية تحديا كبيرا، وهو الملاءمة والموازنة بين عالمين: التقليدي والقومي. فالجيش بالنسبة لهم هو نظام للحفاظ على الهوية.

الجيش والأكاديمية: هنالك علاقة وطيدة بين جهاز الأمن والأكاديميات في إسرائيل كونها دولة صغيرة بالسكان والمساحة. هذه العلاقة انعكست على الأكاديميين كباحثين وكمؤسسة. فاليوم كل الجهاز الأكاديمي يعطي الخدمات لجهاز الأمن. هذه العلاقة توطدت من سنوات السبعين حيث بدأت الجامعات ببناء جهاز تعليمي خاص بالجيش، والأهم هو بناء كليات متخصصة للأبحاث والتي تعطي الأولوية للجيش ولأمور الأمن مثل الجيش والمجتمع، مبنى الجيش الخ...

هذا التعاون كان سبباً أساسيا لتأثير الباحثين الأكاديميين على اتخاذ القرارات القومية البالغة الأهمية. انجاز آخر هو تثقيف الجيش وجنوده على كافة مؤهلاتهم ورتبهم. طبعاً هنالك نواقص مثل تدخل الجيش بالأبحاث، مواضيعها وأهدافها كونه الممول لها.

الجزء الثالث: الذاكرة والقومية

هنالك استعمالات متنوعة للذاكرة في إسرائيل لتعميق الشعور القومي، منها:

- الذاكرة الجماعية والرواية السياسية. فهما عاملان أساسيان بتاريخ الصهيونية. فالذاكرة كانت أساس الادعاء الصهيوني لإقامة الدولة ولهذا تنميها الدولة وتحتفظ بها عن طريق طقوس الذكرى العديدة. إلا أنه في السنوات الأخيرة طرأ تراجع مهم من ناحية تجانس الذاكرة ومعانيها، فنلاحظ بداية عملية تفكير من جديد للذاكرة الجماعية كحاوية لكل الشعب، وبالأخص مع ظهور شروخ مجتمعية وبروز مجموعات مختلفة من المهاجرين الجدد، الشرقيين، الغربيين، الناجين من الكارثة الخ... التفكير من جديد انعكس بفضل موقف الفرد–المواطن من المجموعة، فاصبحنا نرى ان هنالك مجموعات مختلفة تنظر للذاكرة أو للطقوس بشكل مختلف، كما تراها هي، وليس كذاكرة جماعية مشتركة مع هدف واحد ورؤية واحدة موحدة للجميع. مثال على ذلك هو قتل رابين، فهنالك مجموعات ركزت على عملية القتل نفسها واحيت ذكرى قتله بالساحة التي قتل بها بتل ابيب، وهنالك مجموعة أقامت الطقس على قبره في القدس وركزت على عطائه للدولة، فأصبحت الذاكرة مختلفة من ناحية الجوهر ويحددها الجماعة التي تتبناها، بعقائدها ورأيها السياسي ومرجعها العرقي وهنا اذكر المهاجرين الروس ونظرتهم المختلفة للقوميين.
- استعمال آخر للذاكرة هو استعمال سياسي كالمقارنة بين الصهيونية والصليبية ولهذا الاستعمال هدفان: أولا إبراز العلاقة بين الصهيونية والغرب فإسرائيل هي دولة ذات طابع وثقافة غربية مزروعة بالشرق كالصليبيين. ثانياً، إسرائيل هي

جزء من الشرق الأوسط فهي تختلف عن الصليبيين بأنها تقيم حوارا ثقافيا بين الشرق والغرب وهدفه سلمي. من هنا يمكن القول أن إسرائيل أخذت هذا الاستعمال وتعلمت من تجربة الصليبيين فعرَّفت نفسها كجزء من الشرق مخالفة للصليبيين الذين أحسوا بنهاية دورهم في مرحلة معينة كونهم مبعوثين للغرب.

- الذاكرة وصقل المفهوم الإسرائيلي لها: أسباب الصراع الإسرائيلي–الفلسطيني والعلاقة بين إقامة الدولة وإجلاء وطرد الفلسطينيين وتحويلهم للاجئين، النكبة، ذاكرة الكارثة، محو تاريخ اليهود الشرقيين في المدارس هي بحد ذاتها أمور ليست منفصلة بل مركبات وإشكاليات للذاكرة الجماعية تمنع النقاش الشامل في الوعي الإسرائيلي.

هنالك مصطلح راديكالي مكمل مركزي للمفهوم القومي الصهيوني وهو "نفي المهجر" الذي يعتمد على أرضية وضع اليهود في أوروبا واللاسامية. ثانياً التشابه بين ثقافة سكان البلاد وثقافة المهجر الأوروبي. هذان العاملان كانا أساسيان لبناء دولة قومية في فلسطين وإقامة إسرائيل كدولة صانعة قومية لليهود مرتبطة بأوروبا وهذا يضعف العلاقة بين اليهود والعرب داخل إسرائيل، حيث يعتبرون أغراباً وغير شركاء.

على صعيد آخر انعكس هذا الأمر بتجاهل النكبة والتنصل من مسؤولية خراب فلسطين وتشريد الفلسطينيين ومحو الذاكرة الفلسطينية قبل قيام الدولة، ولهذا نرى تناقضا مع طرح دولة ثنائية القومية. هذا المصطلح كان ضرورياً من ناحية مقيمي الدولة لقيامها ولصقل القومية الإسرائيلية، لذلك كان التركيز على اليهود أنفسهم مع تجاهل تام لما فعلوه بغيرهم لكي يعطوا أنفسهم الحق الكامل بإقامة دولة قومية يهودية. هذا المصطلح أو الفكر موجود بشدة حتى يومنا هذا وما زال المجتمع اليهودي موجود إدراكياً داخل حدود هذا المصطلح وأبعاده.

الجزء الخامس: الكارثة في الخطاب الجماهيري

موضوع الكارثة موضوع متشعب ومركب في النقاش الإسرائيلي. سنركز على موضوعين: الناجين ومحاكمة المدنيين وتأثيرهم على الذاكرة القومية. وأهمية نقاش الكارثة في المجتمع الإسرائيلي.

قبل التطرق للنقاش أعلاه يجب أن نذكر انه ليس هناك نقاش إسرائيلي واحد، لأنه لا يوجد مجتمع إسرائيلي متجانس وواحد.

في سنوات الأربعين لم يكن هنالك تواصل أو حوار بين الناجين من الكارثة والمجتمع الإسرائيلي لأن الأخير كان يسمع فقط ولا يناقش. بدأ التغيير بعد هجرة الناجين للدولة والتغيير الديمغرافي الذي حدث نتيجة لذلك. المهاجرون كانوا مثقفين وشباباً ما أدى إلى دمجهم بالمجتمع بسهولة وبالتالي إلى تأثيرهم على ذاكرة الكارثة في المجتمع وبشكل عميق. فهم أدخلوا أيضاً مفهوم "ذنب الضحية" بكونهم قد نجوا بينما قتل آخرون. وهذا كان أساساً لسنّ قانون محاكمة النازيين.

ساهم وجودهم في إسرائيل بتعميق مفهوم الكارثة بالإضافة إلى حوادث أخرى مثل محاكمة نيرنبرغ وغيرها. وتمثّل تحول الدولة من مرحلة البناء إلى التعامل مع المشاكل الداخلية بقبول التعويض الألماني سنة ١٩٥٢ ثم محاكمة أيخمن. كل هذه التطورات أدخلت الكارثة إلى الذاكرة وحولتها إلى جزء من المفهوم الإسرائيلي وأصبحت مجموعات أخرى تتبناها مثل الشرقيين، الأمر الذي رفع من مكانتها كعامل مركزي بتحديد الهوية الإسرائيلية اليهودية.

هنالك أيضاً التحول بين الوجود العام للفرد والتركيز الفردي الذي ظهر في السنوات الأخيرة، ليس فقط من جهة التركيز على الناجين، إنما أيضا سماع روايات تخص مجموعات أخرى ونظرة تمييز شمولية بل متنوعة ومختلفة لسير وتحليلات مختلفة للمواضيع الجماعية القومية. هذا التحول أدى إلى انفصال بالذاكرة وأدى إلى زعزعة الذاكرة الموجودة الجماعية.

التغيير المشار إليه حدث في سنوات السبعين ويمكن تفسيره بضعف التهديد الأمني. هذا الضعف كشف عن التشرذمات الطائفية، الطبقية والقومية الموجودة في المجتمع الإسرائيلي، ومعها أيضا ظهرت سير مختلفة. هذا الاختلاف مهم لكونه مؤشراً لمراحل تغيير في المجتمع الإسرائيلي وتحوله إلى مجتمع أكثر فردانية.

الجزء السادس: تاريخ، ذاكرة وتربية

النظرة للتاريخ كنص يطرح تبعاً لآراء كاتبه، تقوي مكانة الباحث كمؤثر فعلي على سرد التاريخ من جهة، ومن جهة أخرى يقلل من قدرة الكاتب على إعادة كتابة التاريخ. اعترافاً من الجهاز التعليمي بهذا، جعله يغير الأسلوب السردي ليعتمد الأسلوب التحليلي، وطرح مصادر متنوعة

لقراءة التاريخ. لكن مع الاحتفاظ بإعطاء الطلاب الفرصة لتعلم حقب متنوعة من تاريخ البلاد القديم والجديد. الهدف من ذلك هو تقوية الذاكرة الجماعية القومية وخلق بيئة مشتركة للحوار القومي عن الماضي، والحفاظ على الهوية القومية والتراث العبري.

يذكر ان المتدينين اليهود يمتنعون عن تبني هذه الطريقة، ويكتفون بتعلم النصوص القديمة لتفادي التحاليل غير المستندة لواقع محتم.

رأي الكاتب:

١. إسرائيل تمر بتحولات كثيرة تؤثر على الذاكرة الجماعية والانتماء القومي. إن ضعف الجيش وعدم تجانس المجموعات المهاجرة والمجتمعات العرقية المتعددة في الدولة أضعف بشكل واضح الهوية القومية.

٢. رغم تراجع مكانة الجيش القومية، فهو ما زال محافظاً على مكانته العسكرية كركن أساسي في جهاز اتخاذ القرارات.

٣. التطرق للعرب الفلسطينيين كجزء غريب هو امتداد لمصطلح "نفي المهجر" وتكوين الهوية الجماعية. لذلك فإسرائيل ليست دولة مواطنين بل دولة قومية، مما يطرح سؤالاً وجيهاً بالنسبة لوضعية فلسطينيي الداخل كمواطنين في الدولة، كونه يتعارض مع أسس قيام الدولة وبناء هويتها.

٤. إسرائيل لم تعد "فرن الصهر" بل أصبح واضحاً أن هنالك تعدداً بالهويات، فكيف سيؤثر هذا مستقبلاً على الهوية القومية ووضع الجيش . هل إسرائيل بطريقها لدولة متعددة الثقافات؟

الكتاب: هعليونيم- في أروقة المحكمة العليا

المؤلفة: نعومي ليفيتسكي

الناشر: الكيبوتس الموحد

تاريخ النشر: ٢٠٠٧

مراجعة: بلال ضاهر

تصاعد في الأشهر الأخيرة الصراع الشديد وغير المسبوق بين المحكمة العليا الإسرائيلية ووزير القضاء والخبير القانوني البروفسور دانييل فريدمان. وتبين، لمن لا يتابع النشرات الدورية المتخصصة في مجال القانون والقضاء، طوال السنوات الماضية، أن هذا الصراع الحالي هو استمرار لصراع قديم، بين فريدمان ومجموعة من خبراء القانون وبين المحكمة العليا منذ أن تولى رئاستها القاضي أهارون باراك، واستمر بعد خروج باراك إلى التقاعد وترأس القاضية دوريت بينيش للمحكمة العليا.

وباراك وبينيش اللذان يخوضان صراعا، خصوصا مع قادة اليمين والأحزاب الدينية اليهودية، هما "بطلا" كتاب صدر مؤخرا في إسرائيل يحمل عنوان "قضاة المحكمة العليا – في أروقة المحكمة العليا" من تأليف الصحافية والكاتبة الإسرائيلية نعومي ليفيتسكي. ويستعرض الكتاب حياة وأفكار معظم قضاة المحكمة العليا، خصوصا منذ عهد باراك، وشكل اتخاذهم للقرارات التي أصدروها وخلفيات المواقف التي عبروا عنها في قرارات الأحكام التي أصدروها في القضايا المختلفة. لكن الكتاب يتحول في بعض فصوله إلى قصة درامية حقيقية، تتقن الكاتبة حبكتها، لدى تناولها النقاشات بين القضاة أنفسهم في قضايا كبيرة وذات تأثير عام، وهي قضايا في معظمها تخص المواطنين العرب في إسرائيل والفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، ولعل أهمها وأكبرها تلك القضية المتعلقة بالفلسطينيين على جانبي الخط الأخضر، وهي قضية تعديل قانون المواطنة الإسرائيلي ولم شمل العائلات الفلسطينية.

لقد عُرف عن القاضي باراك أنه أحد أكثر القضاة الإسرائيليين المتمسكين بقضايا حقوق الإنسان والمنتقدين لغياب دستور في إسرائيل، وكمن قاد عملية "الحيوية القضائية" أو "الفاعلية القضائية" والتي طبق من خلالها "قوانين أساس"، مثل "قانون أساس: كرامة الإنسان وحريته"، لإلغاء سريان قوانين عنصرية سنها الكنيست الإسرائيلي. وتعرّض باراك خصوصا بسبب ذلك لهجمات شديدة من جانب اليمين في إسرائيل. ولم يكن بإمكان باراك القيام بهذه "الثورة" في المحكمة العليا من دون دعم وتأييد قضاة كبار آخرين وقفوا إلى جانبه، أبرزهم القاضيتان بينيش وداليا دورنر وثيودور أور.

أهارون باراك

لكن الكتاب يكشف عن الأفكار المسبقة لدى القضاة وتمسكهم، في غالب الأحيان، بالاعتبارات الأمنية الإسرائيلية لدى نظرهم في قضايا تخص الفلسطينيين. ويكشف أكثر من ذلك أيضا، مراوغة باراك في إصدار قرارات حكم، لهيئة قضاة موسعة، واعتماده، مثلا، على اقتراب موعد خروج قسم من القضاة إلى التقاعد. وهذا ما حدث فعلا لدى نظر المحكمة العليا في التماس ضد تعديل "قانون المواطنة" الذي قدمته جمعية حقوق الإنسان في إسرائيل ومركز "عدالة" القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل.

ففي شهر آذار من العام ٢٠٠٢ شن ناشطون فلسطينيون عمليات تفجيرية عديدة في إسرائيل، بعد أعمال قتل واسعة مارسها الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين بأمر من الحكومة اليمينية برئاسة أريئيل شارون، وصلت أوجها في ٢٧ آذار، عندما فجر فلسطيني نفسه داخل قاعة الطعام في فندك "بارك" في مدينة نتانيا ما أسفر عن مقتل ٣٠ إسرائيليا. واتخذت الحكومة الإسرائيلية من هذه العملية ذريعة لشن الاجتياح العسكري الواسع للضفة الغربية والذي عُرف بحملة "السور الواقي". وفي ظل هذه الأجواء قرر وزير الداخلية الإسرائيلي ورئيس حزب شاس ايلي يشاي، في الشهر ذاته، توقف الوزارة عن الاهتمام بطلبات لم شمل العائلات التي فيها أحد الزوجين فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة والآخر من المواطنين العرب في إسرائيل، بادعاء أن الزوج الفلسطيني يشكل خطرا على أمن الدولة، ويمكنه أن يساعد "الإرهاب". وبعد شهرين تبنت الحكومة الإسرائيلية قرار يشاي. حتى أن رئيس الوزراء في حينه، أريئيل شارون، حوّل القضية إلى "خطر ديمغرافي"، وأن الفلسطينيين يحاولون تنفيذ حق العودة من خلال الزواج. وكان هناك من أيّد هذه الادعاءات بين القضاة.

وعيّن باراك بداية هيئة مؤلفة من ثلاثة قضاة للنظر في التماس جمعية حقوق المواطن و"عدالة"، لكن سرعان ما تم توسيع هذه الهيئة لتصبح مؤلفة من ١٣ قاضيا برئاسة باراك نفسه. وفي غضون ذلك أقر الكنيست التعديل على "قانون المواطنة" لفترة محدودة. ويشير الكتاب إلى أنه بعدما كتب باراك قرار الحكم، الذي رفض فيه تعديل القانون وأكد على عدم قانونيته ولذلك يتوجب إلغاؤه، أرسله إلى كل واحد من هيئة القضاة ليصادق عليه. وقد تبين لباراك أن سبعة قضاة يؤيدون قرار الحكم فيما يعارضه ستة قضاة، ما يعني وجود أغلبية بين القضاة تؤيد قرار إلغاء التعديل المجحف. لكن باراك رفض نشر القرار لأن القاضي الذي حسم في هذه القضية كان القاضي العربي سليم جبران، وهو أول قاض عربي دائم في المحكمة العليا. وكتبت ليفيتسكي أن "باراك كان مستعدا لضمه (أي ضم جبران) لهيئة القضاة لكن لم يكن مستعدا لتمكينه من الحسم"، فقد أراد باراك أن تكون هناك "أغلبية يهودية" تؤيد إلغاء التعديل.

إن هذه القضية تعكس شكل العمل في المحكمة العليا والعلاقات بين القضاة والتي تنسحب على عدد كبير جدا من القضايا الأخرى التي ينظر فيها القضاة. وبعد أن تبين لباراك أن قرار الحكم سيصدر بأغلبية القاضي العربي، خشي من تعرضه لانتقادات السياسيين والجمهور. وراح يحاول إقناع القضاة المعارضين لقراره ودفع أحدهم إلى العدول عن رأيه والانتقال إلى معسكر مؤيدي قراره ليصدر "بأغلبية يهودية". وعندما لم ينجح بذلك قرر التريث وعدم إصدار قرار، بانتظار تطورات من شأنها تغيير تركيبة هيئة القضاة. والتطورات التي انتظرها باراك كانت خروج قاضيين إلى التقاعد، هما دورنر وأور اللذين أيداه، وذلك بعد شهور قليلة. وبعدها تم ضم قضاة جدد إلى الهيئة التي تنظر في القضية، وكانت النتيجة في النهاية أن صدر قرار عن المحكمة، بأغلبية سبعة قضاة ضد ستة، يجيز التعديل لفترة مؤقتة. وهذا التعديل لا يزال ساري المفعول حتى هذا اليوم. لكن أحد القضاة الذين أيدوا القرار النهائي أشار إلى أن المحكمة لن توافق على إقراره ثانية.

ويشير الكتاب من الجهة الأخرى إلى أنه عندما تتعلق القضايا التي تمس العرب بأمور فردية، أو عامة لكنها ليست ذات طابع أمني، فإن باراك يحارب على حقوق الإنسان. ومثال على ذلك كان في قضية عائلة قعدان ضد "دائرة أراضي إسرائيل". حيث طالبت العائلة العربية بحقها في شراء قطعة أرض في بلدة كتسير اليهودية في منطقة المثلث وسط معارضة اللجنة المحلية في البلدة وأعلنت رفضها بادعاء الطابع اليهودي للبلدة. وبعد عشر سنوات قررت المحكمة العليا منح عائلة قعدان حقها في بناء بيت في كتسير. ومثال آخر على قضية عامة، كان قرار المحكمة العليا بإرغام بلديات في مدن يسكنها العرب واليهود على أن تشمل اللافتات الموجودة في الشوارع كتابة باللغة العربية.

وتؤكد المؤلفة على أن قضاة المحكمة العليا الإسرائيلية يصدرون قراراتهم ليس بموضوعية، وأحيانا حتى من خلال تجاهل القانون، وإنما وفقا لخلفياتهم الفكرية، وأيضا وفقا لأزمات شخصية ألمت بهم، مثل القاضي ميشائيل حيسين الذي لم يسمح له بالذهاب للجندية، رغم رغبته الشديدة بذلك، بسبب مرض في القلب فأخذ يقدس الجيش الإسرائيلي وانعكس ذلك على جميع قراراته في القضايا التي كان الجيش أحد طرفيها. كذلك يخضع القضاة، في غالب الأحيان، للرأي العام السائد في إسرائيل في قضايا معينة خصوصا الأمنية منها. لكن المحكمة، عموما، جريئة في قضايا مدنية، مثل قضايا تتعلق بالزواج بين زوجين من الجنس ذاته.

ويتأثر القضاة أيضا، وبرز ذلك لدى باراك بشكل خاص، من الأجواء الدولية وخصوصا القانون والمعاهدات الدولية. وظهر هذا الأمر بوضوح في قرارات المحكمة العليا، بهيئات ترأسها باراك، تتعلق بمسار الجدار العازل الذي تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية. فقد أمر باراك في أكثر من قرار بتعديل مسار الجدار لإحداث "التوازن" بين الاعتبارات الأمنية والاعتبارات الإنسانية الفلسطينية. ورغم أن قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي كان واضحا وطالب إسرائيل بهدم الجدار وتعويض الفلسطينيين، وهو قرار كان له تأثير على المحكمة العليا في إسرائيل، لكن الأخيرة رفضت تجاهل المزاعم الأمنية الإسرائيلية. وهذا التوجه لدى المحكمة الإسرائيلية يلخص توجهها وسير الأمور في أروقتها.

الكتاب : نار على قواتنا.

المؤلف: عمير ربوبورت.

الناشر : معاريف.

تاريخ النشر : ايلول ٢٠٠٧

مراجعة: تماضر محمود ملحم.

كتاب نار على قواتنا للصحافي عمير ربوبورت يعتبر من كتب الحرب التي تعكس حدثا تاريخيا، وتشهد على أهم الأحداث فيه. نار على قواتنا هو عمل صحافي يجمع التقارير والرؤيا من قلب الحدث وفي زمن الحدث.

مؤلف الكتاب عمير ربوبورت صحافي في معاريف، رئيس الشعبة العسكرية في الصحيفة ومحلل عسكري، اقتصادي في دراسته، خريج جامعة بئر السبع، ويحضر للماجستير في علوم الدولة بجامعة بار ايلان.

جاء الكتاب ليلخص نتائج عشرة أشهر من البحث ليطرح:

– قصة الحرب.

– الفشل في اتخاذ القرارات الادارية.

– تأثير خطاب نصر الله " بيت العنكبوت".

– الأوهام حول النجاح الإسرائيلي.

– لحظات تصف وحدة ضباط الجيش.

الكتاب مقسم الى ستة أجزاء تصف سير الحرب والأحداث السياسية والامنية خلالها، تحاول هذه الأجزاء أن تجيب على بعض الاسئلة مثل:

١. ماذا حدث ومر على قادة الجيش الإسرائيلي في الحرب.؟

٢. ما هي صورة العلم الذي أصر الجيش الإسرائيلي على نصبه في بنت جبيل؟

٣. ماذا قال ضابط الدورية عمنوئيل مورنو في الطريق الى بعلبك؟

٤. لماذا قال حاكي هرئل رئيس وحدة التنفيذ لحلوتس "حفرت لنا حفرة"؟

٥. لماذا أثنى الجيش على تسليم سمير قنطار؟

٦. كيف أخفقت إسرائيل ولم تنجح في هزم منظمة حزب الله ، رغم كل الدعم الدولي الذي تحظى به إسرائيل؟

ثلاثة مشاهد رئيسية تعتبر محور الكتاب:

– المشهد الأول: هجوم مقاتلي حزب الله.

– المشهد الثاني :عدم الاستعداد للحرب.

– المشهد الثالث :التحذير من نشوب الحرب.

المشهد الأول: في العاشر من تموز ٢٠٠٦ هاجم مقاتلو حزب الله دورية إسرائيلية على الجانب الإسرائيلي من الحدود واختطفوا جنديين. الهجوم جاء بعد تسعة عشر يوما فقط من قيام الفلسطينيين بخرق الحدود من جانب غزة. رئيس الوزراء ايهود اولمرت ووزير الدفاع عمير بيرتس أمرا برد فعل قاس. رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي، دان حالوتس، صرّح أن الطريقة التي ننهي بها هذه العملية في لبنان ستكون لها نتائج على الشرق الأوسط برمته. لقد

كان محقا فانتهاء العمليات العسكرية في ١٤ آب ٢٠٠٦ مع صدور قرار الأمم المتحدة رقم ١٧٠١ ، كانت لها دلالات على المنطقة برمتها.

المشهد الثاني: رئيس هيئة الأركان الأسبق الجنرال شاؤول موفاز، الذي أصبح في ما بعد وزيرا للدفاع، قام وحذر من نمو تهديد حزب الله، كما واعلم الجنرال موشيه يعلون بان معظم شمال إسرائيل لم يكن محصناً ضد صواريخ حزب الله.

جيش ٢٠٠٦ لم يكن مستعدا للحرب. شاؤول موفاز وزير الدفاع بين ٢٠٠٢-٢٠٠٦ قام بجدولة انخفاض تدريجي في التجنيد الإلزامي للخدمة العسكرية، وأسس قانونا جديدا يقصر مدة مأمورية الاحتياط ويقلص التدريب. وبحسب اللواء بيني غينتس قائد القوات البرية الاسرائيلية، فان الحكومة قد حسمت من مخصصات تدريب وحدات الاحتياط حوالي ٨٠٠ مليون دولار من عام ٢٠٠١. وبسبب الكلفة تراجع الجيش عن تركيب منظومة الصواريخ المضادة للصواريخ، ولم يزود سلاح الجو الإسرائيلي بقنابل مدمرة للمخابئ المحصنة؟

المشهد الذي بدأت به الحرب والمشهد الذي يعكس استعدادات الحرب يسبقهما

المشهد الثالث:

إن رئيس هيئة الأركان الأسبق والجنرال شاؤول موفاز ، الذي أصبح في ما بعد وزيرا للدفاع ، كان قد حذر من نمو تهديد حزب الله . الجنرال موشيه يعلون صرح بان "معظم شمال اسرائيل لم يكن محصنا" ضد صواريخ حزب الله . قائد المنطقة الشمالية أودي ادم قال : "ليس هناك شيء سيئ يمكن حله فقط بالسبل العسكرية هناك حاجة لحل دبلوماسي"، مضيفا "أنا لا أومن بان أحدا يريد العودة إلى لبنان" .

هذه المشاهد الثلاثة تنتقد :

١. القيادة الاسرائيلية، فالقيادة الاسرائيلية لم تكن مستعدة لحرب صيف٢٠٠٦ ضد حزب الله، وفي مستهل الكتاب يقول الكاتب أن رئيس الحكومة ايهود اولمرت ووزير الدفاع عمير بيرتس ورئيس هيئه الأركان دان حلوتس هم المسؤولون.

٢. التخطيط الإسرائيلي الذي قدم استراتيجية عمياء.

"لقد أهدروا الفرصة لتدمير الوجود العسكري لحزب الله في جنوب لبنان وإحراز أهداف إقليمية لتعزيز الردع الإسرائيلي" .

صفحات الكتاب تقول إن أعلى المستويات السياسية والعسكرية الاسرائيلية اقترفت أخطاء استراتيجية في الإعداد، وخلال التنفيذ. لقد مكنت هذه الأخطاء، حزب الله من أن يصمد ضد الجيش الإسرائيلي، الفشل في الإعداد اضعف العمليات الاسرائيلية منذ البداية . قبل الحرب كان لدى المخططين الاسرائيليين توقعات غير واقعية عن النزاع المسلح مع حزب الله، أما إهمال رئيس هيئة الأركان تجاه لبنان، فعكس الادعاء الإسرائيلي عن استبعاد أي حرب برية على الحدود الاسرائيلية ... نتيجة لذلك ، فشل الجيش الإسرائيلي في تقويم حاجاته قبل الحرب بشكل دقيق.

إعلان الجيش الإسرائيلي عن أهدافه الاستراتيجية التي قدمت للحكومة الاسرائيلية في بداية المعارك ، اخفق حتى في تحديد المناطق المحمية والآمنة، فحالوتس رأى ان الصواريخ قصيرة المدى ليست سلاحا حاسما .

وفقا للكتاب فان الاعتماد الزائد على القوة الجوية كان حماقة استراتيجية أخرى . ففيما كان حلوتس قد أقنع بان سلاح الجو يمكنه أن يحدد دوره العسكري إلى ما بعد المهمات الجوية التقليدية ، ويمكنه أن يجاري بفاعلية التحديات الأمنية الجديدة، فخطط لتخفيف الاعتماد على القوات البرية وزيادة الاعتماد على القوات الجوية . عارض حالوتس القيام بغزو بري على لبنان ، إلا كمحاولة أخيرة، حتى عندما قرر أولمرت وبيرتس إدخال قوات خاصة إلى لبنان للتعامل مع تهديد الكاتيوشا ، عارض حالوتس عملية واسعة النطاق وألغى خطة "مي مروم" – هجوم أرضي مفاجئ بعد الهجوم الجوي بالقرب نهر الليطاني.

المرحلة الأولى من الخطة : هجوم جوي سيستمر عدة أيام .

المرحلة الثانية : السيطرة على حدود مناطق سكنية بجنوب لبنان على الأغلب كانت ستكون قرب نهر الليطاني.

المرحلة الثالثة : تطهير الأرض ، كان مخططاً أن تستمر هذه المرحلة بين ٦-٩ أسابيع من اجل التخلص من قاذفات "فجار" .

المرحلة الرابعة : الانسحاب وتسليم أرض الجنوب لقوى أجنبية أو للجيش اللبناني .

هذه الخطة وضعت قبل الحرب والجيش أجرى تدريباته الجوية والبرية، واحدى هذه التدريبات كانت في مدينة الناصرة.

هذا التركيز على إخفاق حلوتس في الحرب سبقه نقد لتعيينه ولتعيين عمير

بيرتس ، فإشغال حلوتس جاء لاعتبارات سياسية أكثر من كونها مهنية ولدعمه لشارون . أما عمير بيرتس فكان الأمر الذي لا مفر منه : اولمرت اضطر أن يمنحه منصب وزير الدفاع للحصول على الائتلاف وذلك بغية عدم التنازل عن وزارتي الخارجية والمالية لحزب العمل . كلاهما اظهرا : ١. سلوكاً خاطئاً في أداء الحرب. ٢.خطأ استراتيجياً في اتخاذ القرار.

اما بالنسبة لضباط الجيش فالكاتب يكشف:

١. لم يكونوا مؤهلين.
٢. لم يستطيعوا أن يضبطوا جنودهم.
٣. لم يبادروا إلى عمليات عسكرية من اجل النصر.
٤. دخولهم وخروجهم من المناطق اللبنانية خلا من الأهداف.

وفيما يتعلق بالجيش ككل يبين الكاتب أنه:

١. لم يتعلم من المعارك السابقة ولم يطبق الخبرة السابقة .

ففي حرب يوم الغفران عرف الجيش عن وجود صواريخ بيد المصريين والسوريين . الجيش لم يأخذ بالحسبان وجود الصواريخ رغم علمه . هذه الصورة تكررت مرة أخرى ، معلومات استخبارية وصلت للجيش عن وجود صواريخ ولم يأخذوا الموضوع على محمل الجد.

٢. الفشل الاستخباري في التغاضي عن الإشارات التي تراكمت في الاستخبارات العسكرية قبل الحرب.

في شهر تموز ٢٠٠٥ كتب مركز الاستخبارات ان حزب الله سينفذ تهديداته وستكون عملية اختطاف.

ففي ١٨ كانون الثاني ٢٠٠٥ أعلم فركش عن احتمال عملية اختطاف لجنود.

يصرح ربوبورت بان حرب لبنان الثانية غيرت " معالم الأرض" في الأيام الأولى: هدد دان حلوتس بأنه سيرجع لبنان عشرين سنة إلى الوراء، ولكن على ما يبدو" أن دولاب الزمن قد رجع عندنا" . دولة اسرائيل التي حسبت حتى تموز ٢٠٠٦ كقوة تكنولوجية، وجزء من العالم المتطور، تراجعت لتصبح دولة صغيرة ومحاطة بالأعداء . فكر شعب كامل تغير ، ضعف جيل تجلى، الحرب غيرت مفاهيم القوى. اسرائيل خرجت للحرب بهدف الانتقام بعد الشعور بالاذلال والإخفاق.أهدافها لم تتسم بالواقعية ولم تطرح برنامجاً واضحاً لتحقيقها ولا جدولاً زمنياً.

الوزراء الذين وافقوا على ضرب قاذفات فجار لم يعلموا بان الجيش لم ينصح بتنفيذ عملية "مشكال سكولي" : هذه الخطة تعني قصف ٤٤ هدفا بقلب قرى بجنوب لبنان، أي المناطق السكنية التي يظن أنها تخبئ بها صواريخ فجار .

صواريخ فجار لم تعد تشكل خطرا على اسرائيل، لكن حزب الله ما زال يحتفظ بصواريخ قصيرة المدى.

أراد حالوتس ان يحدث أضراراً اقتصادية جسيمة في لبنان وذلك بهدف ان يضع حكومة لبنان بالصورة. تعطيل شبكة الكهرباء وضرب الضاحية ومطار بيروت.

النقاشات المتواصلة حول الأهداف المراد ضربها لم تكن واضحة : رئيس المخابرات اقترح ضرب أهداف في سورية ومن بعد ذلك الهجوم الأرضي على حزب الله :

"العالم متوقع من اسرائيل ضرب لبنان وهي تنظر لسنيورة نظرة امل" لذلك عارض اولمرت أن تضرب لبنان بشكل عنيف. عند خروج الجيش السوري من لبنان تم تطوير خطط عسكرية ومن ضمنها خطة "مي مروم" التي تهدف الهجوم على سورية. في نفس الوقت كان من المتوقع الإفراج عن سمير قنطار في الفترة التي صعد بها سنيورة للحكم، وذلك كمحاولة لتقويته سياسيا .حاكي هيرئيل في ايار ٢٠٠٥ قال بمحادثات داخلية يجب استغلال صعود سنيورة للحكم، والإفراج عن قنطار سيقوي سنيورة بدلا من حزب الله .

القرار بالهجوم البري اتخذ في ذات الليلة التي صدر بها القرار حول وقف النار في يوم الجمعه ١١ اب .

أوضح حالوتس بأنهم بحاجة لعدة أسابيع لإتمام الهجوم البري، وحدد له أن يستمر ستة أسابيع ، المصادقة على عملية الهجوم البري أخذت تتضاءل مع تقدم النقاش.

ليفني أجرت اتصالاً مع يورام طوروفيتس وآسي شريب ، قالت " رئيس الحكومة أكد لي بأنه عند إصدار قرار بوقف النار نستطيع وقف العملية البرية خلال ٨ ساعات " .

" إذن هذا الوقت ، انتهى " الجواب فاجأ ليفني، طوروفيتس أعلمها ولأول مرة بأن الجيش أعطي ستين ساعة لتنفيذ العملية.

ثلاث ساعات بعد مكالمة ليفني لطوروفيتس، على الساعة الثالثة صباحا، عندما كان الجيش داخل أراضي لبنان، وافقت الأمم المتحدة على قرار وقف إطلاق النار، ووقف تام لجميع العمليات.

الكتاب: وادي الصليب- الحاضر والغائب

المؤلفة: يفعات فايس

الناشر: معهد فان لير \ هكيبوتس همؤحاد

تاريخ النشر: ٢٠٠٧

مراجعة: د. رائف زريق

يحتل وادي الصليب موقعا خاصا في الذاكرة الفلسطينية والإسرائيلية على حد سواء. وادي الصليب اسم ذلك الحي الفلسطيني الرابض على المنحدرات الداخلية الشمالية لجبل الكرمل والمطل مباشرة على ميناء حيفا، والذي يبدو للناظر إليه من بعيد وكأنه يتدثر بدفئ حضن الجبل. وادي الصليب اليوم هو احد الأدلة الظرفية الأخيرة على وقوع الجريمة عام ١٩٤٨. بيوت من حجر وشرفات، بيوت لا تفتح أبوابها، وتخبئ سرها داخلها. مشهد يفضح تاريخ المكان، ويشي بما شاءت الرواية الصهيونية الرسمية ان تغيبه.

اما إسرائيليا فإن وادي الصليب يرتبط بالذاكرة بما اصبح يسمى باسم "احداث وادي الصليب" والتي بدأت عام ١٩٥٩ كأعمال احتجاجية صدامية بين مجموعة من سكان وادي الصليب من المهاجرين الجدد، الذي قدموا من الدول العربية – شمال افريقيا خاصة، والذين جرى توطينهم في حي وادي الصليب، ليفجروا بذلك الصراع الداخلي داخل المجتمع الإسرائيلي على أسس اجتماعية – اقتصادية – إثنية وليدشنوا بذلك لحظة تاريخية مهمة في الصراع الاجتماعي / الاقتصادي، ولتضع مشروع "بوتقة الصهر" الذي رغبت الحركة الصهيونية من خلاله صهر الجاليات المهاجرة المختلفة ضمن هوية يهودية صهيونية إسرائيلية واحدة مشتركة، موقع تساؤل حقيقي.

يحكي الكتاب كلتا الروايتين، الرواية الأولى رواية تهجير الفلسطينيين من بيوتهم عام ١٩٤٨ مع الدخول في التفاصيل بالاعتماد على مواد ارشيفية حول كيفية تطور الأحداث في الأسابيع والأيام الأخيرة التي سبقت عملية اخلاء حيفا من معظم سكانها العرب، وعملية الاستيلاء على أملاكهم. اما الرواية الثانية التي يحكيها الكتاب فهي رواية توطين المهاجرين اليهود – العرب (اذا شئنا استعمال لغة عالم الاجتماع يهودا شنهاب) الذين جرى استقدامهم من شمال افريقيا وتوطينهم في حيفا، مع كل ما رافق ذلك من تشابك بين العلاقات الاثنية / الطبقية / الاقتصادية، لتعرض بذلك الكاتبة مستويين من التوتر والصراع: الصراع الرئيسي الأول بين الحركة الصهيونية وبين الفلسطينيين، اما المستوى الثاني للصراع فهو داخل المشروع الصهيوني بين جيل المؤسسين الأوروبيين، وبين جيل المهاجرين الذين جرى استحضارهم من شمال إفريقيا، مع الإشارة الواضحة إلى التوتر الطبقي والاجتماعي بين المجموعتين.

تروي الكاتبة كلا من الروايتين بشكل متشابك ومتداخل، لا يقدم لنا الكتاب رواية واحدة ومن ثم الرواية الاخرى. فالكتاب مقسم إلى ٢٧ فصلاً، يتناول كل فصل من هذه الفصول جانبا من جوانب وادي الصليب. فأحيانا تركز بعض الأبواب على رواية معينة من بين الروايتين واحيانا أخرى تتداخل الرواية الواحدة بالرواية الاخرى. لا يوجد أي ترتيب لهذه الفصول، ليس هناك ترتيب زمني للفصول ولا ترتيب موضوعي. فالكاتبة لا تورد بداية الرواية الفلسطينية – الإسرائيلية ثم الرواية الشرقية – الاشكنازية. بدل ذلك فان الفصول تنتقل بين الرواية الواحدة والرواية الاخرى، وبالتالي فان الكتاب يخرج لحظيا من خط الزمن ويقيم خارجه.

هناك أهمية نظرية لهذا الخلط ولهذا التشابك. لسنوات ساد هناك نقاش بين السوسيولوجيين الإسرائيليين حول موقع الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ودوره في فهم طبيعة المجتمع الإسرائيلي. المدرسة الكلاسيكية والتي سادت حتى اواسط الثمانينيات حكت قصة المجتمع الإسرائيلي كمشروع بناء أمة، والقت بموضوع الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني عموما، وبلحظة العنف المؤسس عام ١٩٤٨ خاصة، ألقت بها جانبا، وتعاطت معهما كمواضيع جانبية يجري التطرق إليها بين الحين والآخر. بالمقابل منذ الثمانينيات بدأت تعلو اصوات نقدية تنظر إلى الصراع باعتباره المفتاح والمدخل لفهم المجتمع الإسرائيلي وصيرورته، وبأن لحظة العنف والتهجير القسري عام ١٩٤٨ لهي لحظة مؤسسة وحاضرة دائماً وأبداً في نسيج المجتمع الإسرائيلي.

بهذا المعنى فإن الكتاب الذي بين ايدينا يقدم بطريقة أدائه وسرده نفسها، تلميحا وليس تصريحا، بانه لا يمكن فهم القصة الداخلية لتطور المجتمع الإسرائيلي وديناميكيته الداخلية دون فهم اللحظة

المؤسسة لهذا المجتمع، والتي قامت على تهجير الفلسطينيين عام ١٩٤٨.

يجمع الكتاب كذلك – تلميحا وليس تصريحا – بين خطابين مركزيين في النقاش السياسي المعاصر: خطاب الهوية وخطاب العدالة في التوزيع. تركز الكاتبة على هوية الشخصيات والمجموعات الفاعلة، فهي تشير بوضوح إلى المجموعات الرئيسية الثلاث: مجموعة المهاجرين المؤسسين –المستوطنين الأوائل الذي قدموا من مركز اوروبا، مقابل سكان البلاد الاصليين – الفلسطينيين، ومجموعة المهاجرين التي قدمت إلى البلاد بعد تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ من دول شمال افريقيا. الا أن الكاتبة لا تفرق في سياسة الهويات ولا تهمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي المتعلق بتوزيع الثروة في كل مرحلة من تاريخ الصراع.

من الجوانب الاخرى التي نجحت الكاتبة ان تجمع بينها هي المناورة والمراوحة بين الدخول في التفاصيل وحتى تفاصيل التفاصيل المتعلقه بالبنى التحتية لحيفا عموما وتوزيعاتها السكانية واوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وبين قدرتها على رؤية الصورة الجامعة والشاملة لحلبة الصراع. وبالتالي فقد استعملت الكاتبة حالة وادي الصليب لتكتب من خلالها كتابا عن تاريخ وعن جغرافيا الصراع الصهيوني الفلسطيني من ناحية، والصراع داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه، وهي بذلك تنضم إلى سلسلة من الكتب التي تحاول ان تمزج بين التاريخ والجغرافيا، وتحكي قصة شعب او صراع من خلال التركيز على تاريخ موقع معين، مبنى، جسر، شارع، ليصبح ذلك الموقع هو المسرح الذي تتناثر عليه شظايا الأحداث الكبيرة.

سأتوقف عند أمرين لهما باعتقادي أهمية، ولفتا انتباهي في الكتاب (وإن لم يكونا بالضرورة جديدان كل الجدة):

الأمر الأول يتعلق بتفاصيل الوقائع والمحادثات والبرتوكولات المتعلقه بترحيل عرب حيفا، تشير الكاتبة في الفصول الأولى (ص ١٦–٥٧) إلى النقاشات التي واكبت وتلت عملية ترحيل العرب، كاشفة وجود الكثير من الدلائل التي تشير إلى انه لم تكن هناك سياسة مرسومة ومقصودة تهدف إلى تهجير العرب من حيفا. لكن بعد ان وقعت الواقعة وحدثت عملية تهجير العرب اكتشفت القيادة الصهيونية انه من الأفضل ان تكون حيفا مدينة يهودية شبه خالية من العرب، وبالتالي فقد عارضت القيادة الصهيونية عودة اللاجئين إلى ديارهم.

لا أهدف هنا إلى الدخول في أي نقاش عما إذا كان التهجير قد تم مع سبق الإصرار أم لا، وفيما اذا كانت هناك خطة مبيتة لتهجير العرب. هناك من المؤرخين الجديين الذين يدعون أنه كانت هناك خطة مبيتة ومرسومة سلفا (أنظر كتابات نور مصالحة وايلان بابيه بهذا الصدد)، إلا أن ما يهمني هو تلك العلاقة القائمة بين الأفكار والمعتقدات وبين الأعمال. وأنا أركز على هذا الموضوع في هذه الأيام التي تعلو فيها الأصوات المطالبة بالترانسفير، والتي أصبح فيها الفكر الترانسفيري فكراً شرعياً داخل إسرائيل. إن واحداً من دروس أحداث ١٩٤٨ – هو أنه حتى وإن قبلنا بتوصيف الكاتبة – أنه حتى يحصل ترانسفير لا حاجه لأن تكون هناك خطة مبيتة ومقرة سلفاً ويجري العمل بموجبها. لقد كان الترانسفير مكتوبا بين سطور المشروع الصهيوني، فمن يريد أن يبني وطناً قومياً ودولة يهودية ذات أغلبية يهودية في بلاد مسكونة ومأهولة بالفلسطينيين فإن عملية الترانسفير متضمنة في المشروع، وإن لم تكن حتمية فهي على الأقل متوقعة. وبالتالي لا حاجة لأن تكون هناك أغلبية تخطط للترانسفير حتى يحصل الترانسفير، كل ما هو مطلوب هو وجود مجموعة حتى ولو أقلية – تقوم بالعمل الأسود، وبعد أن تنهي عملها تصادق الأغلبية على العمل دون أن تلطخ يديها، وبذلك تحافظ على توازنها النفسي والأخلاقي.

وبالتالي فالسؤال اليوم ليس فيما إذا كان هناك أغلبية تقرر الشروع بمشروع ترانسفير، يكفي أن تكون هناك أقلية تشرع بهذا العمل، والأغلبية تتواطأ لاحقا. السؤال ليس إذا كانت هناك أغلبية تقرر مشروع ترانسفير، بل عما اذا كانت هناك أغلبية تستطيع أن تمنع وان تقاوم ترانسفير، فيما إذا قررت مجموعة معينة أن تأخذ المهمة على عاتقها. المجتمع الإسرائيلي بغالبيته لا "يقر" سلفا أعمال المستوطنين العدوانية لكن من ناحية أخرى ليس لدى هذه الأغلبية الصامتة القدرة أو الرغبة الحازمة في وقف اعتداءات المستوطنين. الفكر غالبا ما يقوم بفكر تبريري وليس فكر نقدي. أحيانا يكون الفكر العنصري وراء مشروع الإحتلال وأحيانا كثيرة أخرى فإن الفكر العنصري ينمو على خلفية واقع الاحتلال، وكطريقة لتبرير الواقع القائم اصلاً.

اما الملاحظة الثانية فهي تتعلق بالاستعمال الأدواتي الذي قامت به الصهيونية لليهود – العرب القادمين من شمال افريقيا بشكل خاص. فالكتاب يشير في اكثر من موقع إلى الدور الذي أُنيط بالهجرة القادمة من شمال

افريقيا في مطلع الخمسينيات.

لم يكن هدف هذه الهجرة "إنقاذ" يهود شمال افريقيا (وإن كان من غير الممكن نفي هذا الجانب على الإطلاق)، إلا أن أحد أهداف استجلاب المهاجرين كان الاستيلاء على أملاك الغائبين لخلق أمر واقع وناجز على الأرض. لقد كان الهدف استعمال هؤلاء المهاجرين لتثبيت قدم المشروع الصهيوني في المناطق الحدودية النائية وفي المناطق الريفية البعيدة عن مراكز المدن. بالرغم من نشاط الحركة الصهيونية الاستيطاني، فقط سكن معظم المهاجرين الأشكناز في مراكز المدن (تل ابيب وحيفا بالأساس)، ولم تستطع الحركة الصهيونية إقناع المهاجرين الأوروبيين بالاستيطان في المناطق الريفية. وبالتالي فإن الحديث عن فلاحة الأرض واستصلاحها لهو بالاساس أسطورة لم تقنع الكثير من المهاجرين الأوروبيين الذين فضلوا مستوى معيشة لائقاً في المدينة على التفاني التقشفي في الريف.

لقد حاولت الصهيونية أن توظف الهجرة من الدول العربية حيث فشلت مع الهجرة الأوروبية، وأرادت أن تستعمل هذه الهجرة كخط دفاع فاصل بين الفلسطينيين اللاجئين وبين مراكز المدن، وبالتالي فقد حرصت الحركة الصهيونية أن تركز جهودها في الريف المغربي كي تحضر مهاجرين ريفيين يكون من السهل عليهم الاندماج في حياة الريف بعد نقلهم إلى فلسطين.

بالتالي فإن الكتاب يشير إلى التناقضات الداخلية للصهيونية ويعرض المصالح المختلفة للتيارات والمجموعات المختلفة داخل الصهيونية بعكس المظهر الذي تحاول الصهيونية – واحيانا بعض خصومها – أن تظهر به باعتبارها ممثلة لمصالح جميع اليهود أينما وجدوا بغض النظر عن انتمائهم. فالصهيونية شأنها شأن الكثير من الحركات الكولونيالية والقومية، تخدم مصالح فئة ضيقة ومنتفعة من الامة، لكنها تدعي أنها تمثل مصالح جميع من ينتمون إلى الأمة.

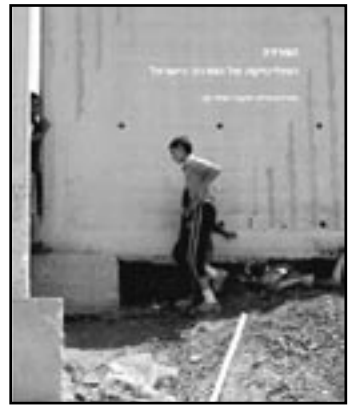

الكتاب: الفصل– سياسة الحيز في إسرائيل

تحرير: حاييم يعقوبي وشلي كوهين

دار النشر: حرجول– تل ابيب ٢٠٠٧

مراجعة: فهيمة عباس

يحتوي هذا الكتاب على عدة مقالات وصور تتناول موضوع الفصل العرقي، القومي والطبقي الذي بات يميز الحيز أو الفضاء في إسرائيل.

هدف هذه المقالات توجيه انتقاد لظاهرة تحديد الحيز، بتغطية "مهنية"، تلك الظاهرة التي لم تعد تقتصر على الحدود الخارجية لإسرائيل كما هو الحال بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية بل تحولت إلى وسيلة تقوم باستخدامها الطبقات الاجتماعية القوية، لكي تخلق حاجزاً بينها وبين الطبقات الضعيفة في المجتمع الإسرائيلي. لقد قمت باختيار مقالين من هذا الكتاب:

الأول يتناول أسباب هذه الظاهرة ومدى انتشارها، تأثيرها في مجال حقوق الإنسان وحقوق التخطيط في إسرائيل.

والثاني يتحدث عن الجدار الذي يفصل بين القرية العربية جسر الزرقاء وبين المدينة اليهودية قيسارية.

الفصل الأول: الجدران والأسوار والعدالة البيئية– ياعيل فدان وتولي هوتمان

إذا أقيم سور بارتفاع ٤ أمتار ملاصقا لبيتي الذي ارتفاعه متران، فأنا لن استطيع رؤية الشمس. وبالتالي فبيتي لم يعد قائماً، يختفي واختفي معه إنا.

في الآونة الأخيرة تتغير معالم المناظر الطبيعية في البلاد نتيجة إقامة الجدران والأسوار التي تبنى في مختلف المناطق، والتي تهدف إلى القطع والفصل. هذه الظاهرة، التي تتجلى جيداً في مجموعة الأسوار والجدران المقامة في الضفة الشرقية، قائمة وآخذة بالتوسع أيضا داخل الخط الأخضر. فمثلاً نجد أسوارا بين بلدات متجاورة وأحياء داخل المدن، وتؤدي هذه الظاهرة إلى إقصاء شريحة من السكان عن غيرها، وتنتج فاصلاً وعازلاً بنيوياً بينها، ولسان حالها يقول: لا يوجد قاسم مشترك بيننا، لا يربطنا مصير مشترك، ولا يوجد بيننا أي شيء. تحديد معالم الفضاء في البلاد الذي نشهده مؤخراً يعتبر عملية تربوية، تنظيمية–تخطيطية–فكرية– تعسفية تضع حدوداً وتخلق فصلاً بين "أنا و "أنت" وبين "نحن" و "هم".

إن الأشكال التي يحدد بها الفضاء – سواء عبر شق شارع أو إنشاء متنزه أو إقامة جدار أو سور، تجسد نوع الفصل وتؤثر على جوهره، بحيث يوجد إمكانية تجديد الاتصال والارتباط، وأحيانا يكون الفصل نهائياً ودائماً. وبما إن تحديد– الفضاء بواسطة الجدران هو في اغلب الأحيان

أحادي الجانب، ففي هذه الحالة يكون الفصل نهائياً ودائماً.

إن ظاهرة إقامة الجدران بين الإحياء والبلدات والمجموعات السكانية تجسد الرغبة في الفصل البنيوي بين طبقات مجتمعية، بين مجموعات عرقية وطوائف مختلفة عن بعضها البعض بقوتها الاقتصادية والسياسية. ومن هنا فالمبادرة تأتي من قبل المجموعات القوية في المجتمع، وبالتالي يتم فرضها على المجموعات الضعيفة التي تعارضها.

تقام الجدران بذريعة "الدفاع عن النفس" وبذريعة حماية أملاك الأقوياء(الذين يعانون من السرقات، المضايقات الإجرام و "الإرهاب")، وتؤيد مؤسسات الدولة هذه المبادرة ولا تخلق لها بديلاً، وهكذا تطرح الأسوار وكأنها الحل الوحيد للمواجهة والطريقة الوحيدة لمعالجة ذلك.

ولكن ما يحدث في الواقع هو أن تلك الجدران، ليس فقط لا تحل المواجهة بل تعززها وتؤججها، حيث أنها تكون عناصر طبيعية قائمة في الواقع، وتعكس ميزان قوى غير متساو وتذكيراً يومياً بالواقع اليومي، وتؤدي إلى المس بحقوق التخطيط – التنظيم وبحق الإنسان والعدالة البيئية. وقد يؤدي استمرار التوجه القائم حاليا إلى تحلل المجتمع إلى مجموعات قوية انعزالية ومجموعات ضعيفة معزولة والنتيجة ستكون تقسيم إلى غيتوات.

أن الربط بين الاقتصاد والرأسمالية وبين سياسة الخصخصة الآخذة بالهيمنة وبين مبدأ التعسفية والقوة، وبين الفجوات الاقتصادية الآخذة بالتوسع وميزان قوى غير متساوية من شأنه أن يعزز نظرية الفصل والحصرية. الخوف من "الآخر" يثبت" ويرسخ هذه النظرية. الأسوار التي تبنى بين الشرائح السكانية ترمز إلى التنازل عن الاتصال والحوار ورفض إقامة علاقات جيرة وترسيخ حالة الفصل المستديم، وكذلك فإنها، تعكس العجز واللامبالاة وقد تكون توجهاً مقصوداً من مؤسسات الحكم وتعبر عن فقدان التضامن الاجتماعي، ومسا خطيرا بالقدرة على النهوض بالعدالة البيئية وحقوق الإنسان وحقوق التخطيط.

المس بحقوق الإنسان في السياق التخطيطي: في سنوات الستين من القرن الماضي حددت الأمم المتحدة حقوقا أساسية تمنح للإنسان لممارسة حقه في التخطيط المناطقي، مراحل ديمقراطية في التخطيط المناطقي والحق بالتشغيل اللائق، خدمات تربوية، صحية وغيرها.

أن الاهتمام بهذه الحقوق لن يتأتى عندما يقدم الطرف القوي على اتخاذ مبادرات أحادية الجانب. الموقع، الأبعاد وإمكانيات المرور عبر عوائق الفصل في إسرائيل "تساهم" في خرق الحقوق الأساسية المذكورة أعلاه. ويتمثل الخرق السافر في سد إمكانيات تطور بلدات أو شرائح سكانية بسبب وجود الجدار أو العائق، وبقطعهم عن مصادر رزقهم وعن المدن التي تزودهم بالخدمات، وغياب تعاون شعبي في القرارات الحاسمة التي ستؤثر على الوضع الاجتماعي، السياسي والاقتصادي.

إقصاء اجتماعي وقطيعة: في السنوات الأخيرة تزداد مبادرات مجموعات سكانية قوية في إسرائيل لبناء أسوار بين أحياء "تمتاز" بالفجوة الاقتصادية الهائلة بينها، وبالاختلاف الثقافي، الديني والقومي.

اليوم يوجد سوران من هذا النوع في البلاد: في الرملة بين الجواريش وبين حي جاني دان، وسور ترابي أقامه سكان قيسارية بينهم وبين جسر الزرقاء.

رئيس مجلس جسر الزرقاء السابق عز الدين عماشي يسمي السور بين بلدته وقيسارية: جدار عنصري اقتصادي، هذا السور الذي يبلغ طوله نحو كيلومتر واحد وارتفاعه ١٢ متراً يساعد سكان قيسارية الذين انخفضت قيمة أراضيهم وعقاراتهم غير المنقولة بسبب قربهم من جسر الزرقاء، حسب تعبيره.

الدمج بين الضعف الاقتصادي، الإهمال البيئي والهوية العربية يعزز" الخشية/ التردد".

وعلى خلفية سياسة الفصل الرسمية تجاه الفلسطينيين نلاحظ تأسس نظرية الفصل الداخلي والى مزجها في الاقتصاد والاستهلاك وسياسة الخوف والخطاب الأمني في إسرائيل.

الجدران كبديل لعمل مؤسسات الدولة: يبرر مؤيدو الفصل إقامة الأسوار والجدران بأنها وسيله لمنع الجريمة، السرقة ومضايقة السكان. وبدل أن تقوم الشرطة بحل المشكلة يبادر السكان إلى منع أية إمكانية لخلق تواصل بينهم وبين الجيران، ولكن هذه المبادرات لا تجابه المشاكل الأمنية. إن ظاهرة المجتمع المحاط بالأسوار–الانعزالي والمحمي– التي بدأت في الولايات المتحدة كان هدفها توفير الأمن الشخصي في أعقاب ارتفاع مستوى الجريمة في مختلف المدن في سنوات الثمانين، هذه الظاهرة أخذت تلاحظ في البلاد في عدة مدن، ومنها اللد، حيث يعاني حي "برديس شنير" من مشاكل اجتماعية، بما في ذلك تركيز المخدرات فيها، ويطالب

جيرانهم سكان حي نيرتسفي الذين يتمتعون بمكانة اقتصادية اجتماعية عالية، بإقامة جدار بين الحيين لتفادي مشاكل المخدرات التي لا تلقى الاهتمام والمعالجة المناسبين من قبل الشرطة.

ثقافة الفصل والانعزال: جدران الفصل المقامة في مختلف الأماكن في البلاد عملياً تعبير بنيوي لمشاكل أخرى: اجتماعية، سياسية وتخطيطية. الجدران والأسوار تطرح على أنها حل لهذه المشاكل، ولكن إقامتها لا تحل هذه المشكلة بل تفاقمها. فالجدار قد يساعد على أبعاد "المشكلة" عن الحياة اليومية، وحل المواجهات الاجتماعية والسياسية، ولكن عملياً فالسور يعرف مضمون "المشكلة" ب"الآخر" والمختلف، ذي الصفات الشيطانية التي تهدد كل من هو موجود في الجانب الآخر من الجدار، وبالتالي تكرس المواجهة وتعززها.

المشاكل المذكورة آنفاً مردها إلى أن الجدران تعتبر عمليا مناطق مفروضة وتم إملاؤها. وهذا الشيء يناقض وظيفة التخطيط المنطقي كمزود أدوات مهنية للتنسيق بين مختلف الاستخدامات والمصالح وترتيب العدالة المناطقية، وذلك لأن التخطيط أحادي الجانب يأخذ بالحسبان فقط مصالح أصحاب النفوذ، المال والتأثير. عندها تصبح احتمالات الجيرة الحسنة ضئيلة. زد على ذلك أن استعمال الجدار يجعل الفصل المناطقي هدفاً قائما بذاته: خلق منطقة (فضاء) جديدة تلائم مصالح القوي. إن ظاهرة العزل بالجدران تهدد بالانتشار كلما ازدادت الفجوات الاقتصادية بين الإحياء، وهكذا ستزداد القطيعة والغربة بين الأقوياء والضعفاء، ولذلك هنالك حاجة لسياسة تقلص هذه الفجوات.

الفصل والانفصال في جسر الزرقاء: رالي دي باريس

في هذا المقال يصف– الكاتب "الجدار" الفاصل بين قيسارية اليهودية وجسر الزرقاء العربية، وهي القرية العربية الوحيدة التي بقيت على شاطئ البحر المتوسط، ولكن في هذه الحالة هنالك اختلاف، حيث انها الوحيدة في جميع المناطق المقامة فيها جدران، التي يحاولون فيها تجميل البشاعة، أو التبشيع بذريعة الجمال، إذ أن السور هو سور ترابي ارتفاعه ٨ أمتار ويفصل بين القرية وقيسارية. القرية ذاتها تقوم على كسارة كركار. وتم وضع قيود على تطور القرية بواسطة محميات طبيعية وحدائق وطنية مشمولة في الخارطة الهيكلية لإسرائيل، وهي تمنع التوسع السكاني لقرية جسر الزرقاء، ومن هنا فان الجدار الفاصل يؤلم اكثر ويذكر السكان كم هم بحاجة إلى أراض وفضاء. المكان الذي يقوم فيه السور الترابي يؤلم ويزعج وليس فقط بسبب الإجحاف وانعدام العدالة والحجب والإقصاء والإهانة، وذلك لأنه لا يوجد أي مبرر منطقي للسور الترابي في المنطقة. .. وحسب ادعاء الكاتب، فانه من الأفضل إقامة جدار، وعدم محاولة طمس و"غمغمة" النفور والرفض بواسطة كذبة الجمال والطبيعة. إذ أنهم في الواقع لا يريدون الرؤية ولا يرغبون في السماع.

على جانبي سور الفصل تتعالى بيوت متشابهة. المهندسون المعماريون في قيسارية يبحثون عن الاصلانية الخاصة بحوض المتوسط، أما سكان جسر الزرقاء، فيريدون أن يكونوا مثل اليهود الذين رأوهم عبر نوافذهم، ولكن نظرتهم غطيت بالتراب "الفصل يفرض الانفصال، أنت تنفصل من تلقاء نفسك" هذا ما قاله احد سكان جسر الزرقاء للكاتب. سكان جسر الزرقاء انفصلوا من تلقاء أنفسهم، وبالرغم من ذلك فان حضور ووجود جسر الزرقاء هناك، على كسارة الكركار قوي، ثابت، وتمنع بيوتها المكتظة والمزدحمة من السيطرة على أراضيها.

مجلة "إيريتس أحيرت"
عدد ٤١، آب– تشرين الأول ٢٠٠٧
مراجعة: بلال ضاهر

يشكل الجمهور الحريدي، أي اليهود المتزمتين دينيا، ما نسبته ٨٪ من السكان اليهود في إسرائيل. لكن وتيرة التزايد الطبيعي في هذا المجتمع عالية جدا، وتأثيره السياسي يتصاعد مع تزايد تشرذم الوسط السياسي العلماني في إسرائيلي. وركزت مجلة "إيرتس أحيرِت" الإسرائيلية في عددها أيلول – تشرين الأول الأخير على المجتمع الحريدي من عدة جوانب من خلال مقابلات ودراسات.

ورأت محررة المجلة، بامبي شيلغ، في افتتاحيتها أن "الحيوية الحريدية الكبيرة، والقدرة على النهوض من رماد المحرقة التي قضت على قسم كبير من هذا الجمهور، تثير الإعجاب والانبهار". وذكرت أن مميزات هذا المجتمع هي العائلات الكبيرة والتواضع والاكتفاء بالقليل واختيار حياة الفقر ودراسة التوراة، وهي مميزات "تدل

على وجود روح داخلية ما زالت في أوج قوتها".

لكن المجتمع الحريدي المتقوقع داخل ذاته يواجه أزمة اجتماعية شديدة. فالرجال في هذا المجتمع لا يخرجون إلى العمل وإنما يقضون جلّ وقتهم في دراسة التوراة وغيرها من الكتب الدينية اليهودية المهمة، مثل التلمود، ولا يتعلمون في الجامعات والمعاهد الأكاديمية، كما أنهم في الحالة الإسرائيلية لا يخدمون في الجيش. والمعيل الأساسي للعائلات الحريدية هم النساء اللواتي يخرجن للعمل، وفي هذه الحالة فإن النقاش صاخب للغاية: هل يتوجب على المرأة الحريدية العمل داخل مجتمعها أم أنه يمكنها العمل خارجه أيضا؟ وهل يتوجب السماح للمرأة الحريدية الدراسة في الجامعات والمعاهد الأكاديمية العامة، والاختلاط مع الرجال، أم أن عليها التعلم في المعاهد الدينية للإناث؟ وهذه الأزمة تتفاقم بوجود عائلات كثيرة الأولاد من جهة، وبالضربة الاقتصادية التي أنزلتها عليهم الخطة الاقتصادية لوزير المالية السابق بنيامين نتنياهو والتي في صلبها تقليص مخصصات الأولاد بشكل كبير، من الجهة الأخرى. إضافة إلى ذلك هناك الصراع الحاصل بين المجتمع الحريدي والمجتمع اليهودي العلماني، على خلفية عدم خدمة الحريديم في الجيش وتلقيهم مخصصات دون أن يقوموا بأي عمل، باستثناء الدراسة الدينية في المعاهد الدينية الخاصة بهم والمعروفة باسم ال"يشيفاة". وهذا الوضع يجعلهم عرضة لتهجمات العلمانيين ضدهم باستمرار ويزيد من عزلتهم.

ويتوجب الإشارة بداية إلى أن الجمهور الحريدي الذي تناولته المقابلات والدراسات المنشورة في مجلة "إيرتس أحيريت" هو الجمهور ذو الأصول الأوروبية، الأشكنازي. كما أن "اليشيفوت" – جمع "يشيفاة" – أقامتها الجماعات اليهودية ذات الأصول الأوروبية الشرقية. ولا تتطرق هذه المواد إلى جماعات الحريديم ذوي الأصول الشرقية و"اليشيفوت" التي أقامتها حركة "شاس".

مبادرة لتشغيل الرجال

بتسلئيل كوهين البالغ من العمر ٣٢ عاما، متزوج وأب لخمسة أولاد، هو واحد من أبرز طلاب "اليشيفوت" الليتوانية، التي تعلم فيها ١٦ عاما. ويقود كوهين منذ ثلاثة أعوام حملة، هدفها تحويل مسألة تشغيل الرجال الحريديم إلى مسألة مركزية في المجتمع الحريدي وأيضا لدى المؤسسة الحاكمة الإسرائيلية. ولتنفيذ هدفه غادر كوهين ال"يشيفاة" التي كان يدرس فيها. ويعمل اليوم في برنامج مشترك لمنظمة "جوينت" اليهودية العالمية وحكومة إسرائيل لتحقيق هدف حملته. وفي إطار مهامه يُجند كوهين حريديم من خارج البلاد بهدف إقناع الحريديم في إسرائيل بضرورة الخروج إلى العمل.

واستعرض كوهين في ورقة عمل نشرها مؤخرا عددا من العوائق الفكرية والبنيوية التي تصعب على الرجال الحريديم، الذين عكفوا لسنوات طويلة على تعلم التوراة فقط، الخروج إلى دائرة العمل. ومن بين هذه العوائق، قيادة الحريديم التي ترفض المساهمة في دفع موضوع التشغيل إلى الأمام في أوساط جمهورها، كما أن أذرع السلطات الإسرائيلية شريكة بتكريس الوضع القائم. ومن الجهة الأخرى رأى كوهين أنه من أجل تشجيع الحريديم على العمل يتوجب أن تعتمد أعمالهم على القاعدة الروحانية والتنظيمية للمجتمع الحريدي، وأن يتم ذلك تماشيا مع القيم الدينية والثقافية الموجودة في صلب حياتهم.

وأوضح كوهين أن السبب الأساسي الذي دفعه لإطلاق مبادرته كان تدهور الوضع الاقتصادي لدى الحريديم. وقال إنه لهذا التدهور توجد عدة أسباب أدت مجتمعة إلى انخفاض مصادر الدخل التي اعتاد عليها المجتمع الحريدي، ومن الجهة الثانية ارتفع معدل صرف هذه العائلات. ورغم تأكيده على أنه لا يمكن الحديث عن وجود سبب واحد للضائقة الاقتصادية لدى الحريديم، إلا أنه ذكر بشكل خاص خطة نتنياهو الاقتصادية من العام ٢٠٠٣. وقال إنه "في أعقابها وصلت عائلات عديدة إلى حد الفقر المدقع الذي وضع صعوبات أمام عيش حياة يومية طبيعية. وفي حالات كثيرة لم تكن هناك قدرة على تمويل حد أدنى من الصرف على المواد الغذائية ومصاريف جارية أخرى مثل الغاز والكهرباء والماء. وقد اضطرت عائلات كثيرة إلى التقشف بصورة كبيرة ويمكن القول أن معظم الجمهور اضطر إلى خفض مستوى حياته بهذا القدر أو ذاك".

وأوضح كوهين نظرة الرجال الحريديم إلى فكرة خروجهم للعمل، وقال إن "الخروج إلى دائرة العمل منوط بثمن اجتماعي غال، خصوصا لأولئك الذين يحظون بمكانة محترمة في اليشيفاة. فهؤلاء سيتنكر لهم مجتمعهم بشكل تظاهري في حال تركوا دراستهم (في اليشيفاة) حتى لو

كان ذلك بصورة جزئية من أجل إعالة عائلاتهم". وأشار إلى أنه في أوساط 'أبناء التوراة' يحظى العاملون من أجل كسب رزقهم بمعاملة استعلائية وباستخفاف، وأولادهم غير مرغوب بهم في المؤسسات التعليمية".

وبسبب تقوقع المجتمع الحريدي فإن هذا المجتمع لا يشارك عادة في استطلاعات الرأي والأبحاث التي تجرى في المجتمعات الأخرى. وقال كوهين إنه "فيما يتعلق بالتشغيل أيضا لا توجد معطيات موثوقة، مثل نسبة غير العاملين في الوسط الحريدي والحالة الاقتصادية للعائلات وما هي إمكانيات التشغيل في الوسط الحريدي في المستقبل. وفي ظل غياب معطيات كهذه من الصعب جدا للكثيرين أن يحددوا ويبلوروا موقفا واضحا حول ما يتوجب عمله في هذا المجال وما لا يتوجب عمله". ولفت كوهين إلى أن "معلومات الحاخامين (حول أبناء رعيتهم) تستند فقط على إحساس شخصي ونتيجة توجهات (رعيتهم) إليهم أو بالاستناد إلى إحساس شخصي من جانب اتباعهم الموثوقين. والفرق بين التقديرات كبير للغاية وخصوصا فيما يتعلق بتقييم مستقبلي وليس بصورة الوضع الراهن".

وقال كوهين أن مسألة التشغيل في المجتمع الحريدي هي عامة ولا تنحصر في هذا التيار أو ذاك. ولذلك رأى أن "معالجة على المستوى المحلي لن يحل المشكلة وثمة حاجة لعمل يشمل المجموعة برمتها". لكن لأن المجتمع الحريدي مقسم بشكل واضح إلى فئات عدة فإن ثمة صعوبة في المبادرة إلى نشاط مشترك لحاخامين من كافة الفئات والتيارات. وأورد كوهين مثالا على هذا الانقسام بوجود "مجلس خاص من الحاخامات لكل واحد من الأحزاب والفئات والتيارات الحريدية وهذا المجلس هو الذي يقرر طريق الحزب من دون أو يولي أي اعتبار لرأي الحاخامين الآخرين".

المرأة الحريدية

قضية أخرى عالجتها المجلة في إطار الملف حول المجتمع الحريدي هي قضية المرأة الحريدية، بدءا من مكانتها وانتهاء بخروجها للعمل. وقد اختارت المجلة تناول هذا الموضوع من خلال مقابلة أجرتها مع الممرضة راحيل شيلكوفسكي، المتخصصة بالتوليد وتدير قسم الولادة في مستشفى "شعاريه تسيدك" منذ أربعين عاما. وتقول شيلكوفسكي إنه لا يوجد في قسمها ممرضات مولدات من المجتمع الحريدي، لأنه اليوم أيضا، ورغم التغيرات التي حدثت في العقود الأخيرة في مسألة عمل النساء الحريديات، فإنه يكاد لا يوجد في المستشفيات ممرضات حريديات. وأحد الأسباب لذلك هو أن التوليد، أو التمريض عموما، هي مهنة تستوجب التوجه لدراسة عليا والقبول إليها مشروط بشهادة بغروت (توجيهي) فيما لا يزال عدد قليل جدا من المدارس الحريدية التي تقدم طلابها لامتحانات البغروت. وسبب آخر هو أن هذا النوع يكون في غالب الأحيان مقروناً بالعمل إلى جانب رجال والتعامل مع أعضاء حساسة في جسم الإنسان.

وعبرت شيلكوفسكي عن تفاؤلها من تغير الوضع، وقالت إنه "خلال السنوات الأخيرة هناك الكثير من البنات الحريديات في خارج البلاد اللواتي يقبلن على دراسة التمريض وهذا الأمر سيحدث قريبا في البلاد أيضا". ومن الجهة الأخرى أشارت إلى التطور الحادث في المجتمع الحريدي في هذا السياق، وقالت "هناك إقبال البنات الحريديات على دراسة المواضيع العلاجية ويتعلمن في كليات حريدية خاصة للبنات. وفي السنوات الأخيرة يجري تدريس مهن عديدة في هذه الكليات لم يتم تدريسها قبل عشرين عاما. كنّ يتعلمن في هذه الكليات فقط ليصبحن معلمات مدارس وروضات أطفال. ودائما كانت هناك نساء توجهن إلى الجامعات، لكن هؤلاء كنّ مختلفات ولم يسرن مع التيار.أما اليوم فجميع النساء الحريديات اللواتي يعملن في المهن المختلفة يسرن مع التيار". ومن بين المهن التي تقبل عليها النساء الحريديات في السنوات الأخيرة مهنة برمجة الكمبيوتر، وذلك بعد أن تعلمن دورات في هذا المجال.

وأوضح عالم الاجتماع البروفسور مناحيم فريدمان أن الحاخام أبراهام يوسف وولف، وهو أحد قادة التيار اليهودي الأرثوذكسي الجديد، وأدار في سنوات الخمسين من القرن الماضي كلية "بيت يعقوب" في مدينة بني براك التي تسكنها أغلبية حريدية، شجع على زواج الشابات الحريديات المعلمات من الشبان الحريديم، ليتسنى للأخيرين تخصيص جلّ وقتهم لدراسة التوراة في "اليشيفاة" فيما النساء يعملن من أجل إعالة العائلة.

لكن مع مرور السنين وتزايد عدد المرشحات للعمل في التدريس وأيضا بعد خطط اقتصادية أقرتها الحكومة في نهاية سنوات الستين وأدت إلى تقليص الدعم للمدارس الحريدية نشأت مشكلة عدم توفر

عدد كاف من الوظائف في مهنة التدريس وبرزت الحاجة إلى إيجاد مصادر أخرى تعمل فيها النساء الحريديات لكسب الرزق. وعلى اثر الضائقة الاقتصادية جراء هذا الوضع بدأت النساء الحريديات بالتوجه إلى مهن غير التدريس، مثل الغرافيكا والكمبيوتر والصحافة والأزياء وإدارة الأعمال، وفي السنوات الأخيرة دخلت نساء حريديات لمهن مثل تدقيق الحسابات والمحاماة. وقد أدى ذلك إلى انفتاح النساء الحريديات على الحضارة العصرية وحتى أنه قاد إلى توسيع الثقافة العامة لدى المرأة الحريدية.

وألقت شيلكوفسكي الضوء على مكانة المرأة في المجتمع الحريدي المعاصر. وقالت إن "المرأة في المجتمع الحريدي تتطلع إلى مستقبل مهني ناجح، وهناك من يمارسن مهنا مثل تدقيق الحسابات، اللواتي يكسبن مالا كثيرا من عملهن. ولأن النساء هن المعيلات، وبسبب نجاحهن في العمل، فإن هذا أدى إلى أن يرفعن رؤوسهن أمام الزوج. وهذه مشكلة. لأن من يتوجب أن يقرر في الشؤون الشرعية هو الزوج، ولذلك يتوجب على الزوجة تقديره وعدم رفع صوتها عليه. وفي إطار عملي وعندما كنت مسؤولة عن غرفة الولادة كانت هناك أوضاع توجب علي أن أكون حاسمة، لكن ليس في البيت. وعندما صرخت مرة على زوجي قال لي: لست في غرفة الولادة". وأضافت أن "على المرأة أن تحترم زوجها بسبب تحقيقه النجاح في تعلم التوراة. كما أنه بحسب الشريعة على المرأة إعطاء راتبها لزوجها وهو يقول لها كيف تصرفه".

ورأت شيلكوفسكي أن "عمل النساء خارج البيت وكونهن معيلات أساسيات وناجحات من الناحية المهنية، غايته ليس أن يطورن مستقبلا مهنيا وإنما إنقاذ عالم اليشيفوت" الذي انهار في الهولوكوست. لكن شيلكوفسكي اعتبرت أن هذا الوضع، الذي تعمل فيه المرأة فيما الرجل يتعلم التوراة فحسب هو وضع "غير صحي". وأضافت أن "هذه لم تكن الطريق التي سادت في تاريخ شعب إسرائيل. في أوروبا، كان رب البيت وهو ابن التوراة يعمل لكسب رزقه وبعد ذلك يخصص وقتا للدراسة. وفي المحصلة تعلم أكثر مما يتعلم طالب اليشيفاة اليوم، الذي يتعلم ٢٠ عاما يقضيها بالحصول على قروض للمحتاجين. وهذا ليس وضعا طبيعيا أن تضطر امرأة لديها عشرة أولاد للعمل... وفي أحد الأيام سيتفجر هذا الوضع. وبالإمكان رؤية بداية تغيير من خلال الإعلانات المتزايدة في الصحف الحريدية التي تعرض عملا للرجال".

وتحدثت شيلكوفسكي عن الأهمية الكبرى التي يوليها المجتمع الحريدي لجمال الفتاة والمرأة، وهو الأمر الذي أدى لنشوء تجارة مزدهرة في هذا المجال. وقالت "هذا أمر مهم. وقد قال كبار حاخامات هنغاريا: لدينا امرأة واحدة، إذا فلنسعى لأن تكون جميلة. إن لباس الجمهور الحريدي أنيق وخصوصا في الأعراس". وهناك أيضا ظاهرة الخطوبة التي قالت شيلكوفسكي إنها "تبدو في المجتمع الحريدي مثل صفقة وما يحسم إبرام الصفقة هو المبلغ الذي تعطيه كل عائلة لشراء شقة للزوجين. واشتراط الخطوبة باتفاق عائلتي الزوجين على ترتيبات مالية هي ظاهرة تزعزعني. هل يتزوجون شقة أم امرأة؟".

الحريديم ثلاثة تيارات

ينقسم الحريديم في إسرائيل إلى ثلاثة تيارات هي: "الحسيديم" أو الأشياع، وهم جماعة ظهرت في عصر الحشمونائيم وبالغت في ورعها وتمسكها بالدين وتشبه إلى حد ما الحركات الصوفية، و"الليتوانيون"، نسبة إلى ليتوانيا، و"السفارديم" وهم اليهود الشرقيون. وكتب الدكتور بنيامين براون من الجامعة العبرية في دراسة شملتها مجلة "إرتس أحيرت" أن الحريديم ينقسمون أيضا إلى ثلاثة تيارات رئيسية أيديولوجية – سياسية وترفض الفكر الصهيوني: التيار الأول هو الحريدية الراديكالية وعلى رأسها "أشياع ساتمار" ومعها "الطائفة الحريدية" في القدس ونيتوري كارتا؛ التيار الثاني هو "الحريدية المركزية" وممثلها التاريخي حزب "أغودات يسرائيل" واليوم يمثل هذا التيار في الكنيست حزب "يهدوت هتوراة"؛ التيار الثالث هو اليهودية الحريدية المعتدلة وكان أبرز ممثليها حزب "بوعالي أغودات يسرائيل" واليوم يمثلها حزب "شاس" وحركة "حباد".

ولفت براون إلى أن الحريديم لا يمتازون بصياغة أفكارهم في إطار برنامج سياسي كونهم "يستخفون بالعمل في مثل هذه الأمور". ويكتفي اليهودي الحريدي بالقول إن مبادئه الفكرية هي المبادئ الإيمانية الـ١٣ التي حددها "رامبام"، أي الحاخام موشيه (موسى) بن ميمون، وأنه لا يوجد في التيار الحريدي بحد ذاته أي تجديد. لكن براون يؤكد على أن الفكر الحريدي في الفترة الأخيرة شمل تجديدات في المجال الفكري يبلغ عددها عشرة، بحيث أن هناك تجديدان رئيسيان،

هما "الإيمان بالحكماء" و"انخفاض الأجيال"، وينتج منهما ثمانية مبادئ جديدة أخرى.

١- يعني "الإيمان بالحكماء" الإيمان بسلطة "حكماء إسرائيل". ٢- ويعني "انخفاض الأجيال" أن كل جيل تقل حكمته عن الجيل الذي سبقه من النواحي الإيمانية والأخلاقية، وأحيانا يتمثل ذلك بتدني مقاييس جسم الإنسان، وهذا المبدأ يميز التيارات التقليدية المحافظة ويتناقض مع النظريات الايديولوجية الحديثة التي ترى أن الإنسان يتقدم. ٣- "رفض الإصلاح والحداثة الشرعية"، ويقضي بوجوب المحافظة على الشريعة اليهودية بشكلها التقليدي وعدم وجود إمكانية لإجراء إصلاحات أو تعديلات عليها. ٤- مبدأ الإيمان الساذج ورفض التحقيق في العلوم الإلهية (ثيولوجيا). ٥- رفض الحداثة ومحاربة العلمانية والأيديولوجيات العصرية، ويعتبر الحريديم العلمانية ظاهرة غير شرعية في عالم اليهودية وأن جميع الحركات الأيديولوجية التي نمت من العلمانية هي حركات مرفوضة. ٦- الصراع ضد الصهيونية، حيث يرى الحريديم أن الحركة الصهيونية تشكل خطرا على اليهودية، خصوصا بسبب الطابع العلماني والأيديولوجي الحديث للحركة الصهيونية. ٧- انغلاق، ويقضي هذا المبدأ بأن الحفاظ على اليهودية الحريدية ممكن فقط من خلال بناء أسوار بينها وبين العالم العلماني الخارجي. ويحظى هذا المبدأ بإجماع واسع للغاية لدى جميع التيارات الحريدية. ٨- التعليم واليشيفوت، ويعتبر هذا المبدأ أن الضمان الوحيد لبقاء وجود "شعب إسرائيل" هي التوراة وخصوصا دراسة التوراة. ومن الناحية العملية فإن هذا المبدأ يحتم رصد معظم الموارد الاجتماعية من أجل استقرار "عالم التوراة"، والمقصود هو "اليشيفوت" من دون تعلم المواد العلمية في البلاد - "ارض إسرائيل" - أو تعلم المواد العلمية، لكن بقدر ضئيل وشرط أن يتم ذلك خارج البلاد. ٩- الأمور الجوهرية، ولا يعتبر هذا مبدأ، وإنما هو ميل فكري، حيث يميل الحريديم إلى النظر إلى العالم على أنه مركب من مجموعة أمور جوهرية لا تتغير. ويعتبر الحريديم أن ثمة فرقا جوهريا وعميقا بين "شعب إسرائيل" وبقية أمم العالم، وأن اليهود يتفوقون على بقية الأمم. كذلك يرون أن هناك فرقاً بين الرجال والنساء ويرفضون فكرة تحرر المرأة. ١٠- التشدد، ويقضي هذا المبدأ وجوب الحفاظ على المبادئ الدينية بحرص شديد للغاية.

وأشار براون في نهاية مقالته إلى أن هذه المبادئ لا تلخص الأفكار في "رأس الحريدي" ولا حتى الفكر الحريدي بكامله، وإنما هي مبادئ وحسب وتتفرع منها مبادئ أخرى واستثناءات. لكن هذه المبادئ العشرة من شأنها أن تسلط الضوء على الخطوط الفكرية الأساسية للحريديم.

من جهة أخرى رأى أحد الكتاب المساهمين في ملف الحريديم، والذي يكتب باسم مستعار هو اسحق مئير، أنه خلال السنوات القليلة المقبلة ستزول فروق عديدة بين الحريديم والتيار الدين القومي، وهو تيار يميني متطرف أبرز أتباعه المستوطنون في الضفة الغربية. وكتب مئير أن الكثيرين من الحريديم يشعرون بأن دولة إسرائيل هي دولتهم فعلا، وعدم انخراطهم في الخدمة العسكرية لم يعد نابعاً عن فكر صرف لدى طلاب "اليشيفوت"، وإنما هو تفاهم لم يكلف أحد نفسه التفكير فيه أكثر مما ينبغي، "وربما يكون ذلك خوفا من استخلاص عبر".

واعتبر مئير أن رفض الحريديم بصورة جارفة لمجمل أفكار التيار الصهيوني - الديني سيتلاشى مع مرور السنين، وأن قسما مهما من الخلافات بين الفئتين زائل والصراع جار في حالات كثيرة حول مسائل ولى عهدها. والمشكلة بنظر مئير هي أن الحريدي ليس قادرا على إجراء حوار، ولا حتى مع ذاته، حول مبادئه الإيمانية، والتي هي محل خلاف بينه وبين أتباع التيار الديني القومي.

لكن مئير رأى أن أبناء الجيلين الثاني والثالث لأيديولوجية كلا الجانبين، الحريدي والديني - القومي، ليسوا بالضرورة يوافقون وواثقون بصدق طريق المجموعة التي ولدوا فيها. وهنا وهناك يطرح شبان حريديم، خصوصا في سنوات العشرين من أعمارهم، تساؤلات، ويريدون التعلم والاستيضاح من جديد حول قضايا إيمانية ومبدئية "وقد يكتشفون أن الفكر الصهيوني - الديني يتفق مع أفكارهم".

ويشمل ملف الحريديم في مجلة "إيرتس أحيرت" عددا آخر من المقالات والحوارات، تناولت مجالات أخرى في حياة هذا المجتمع. ومن بين هذه المواضيع: الحريديم وشبكة الانترنيت، والحريديم والهولوكوست، وقصة قصيرة حول حوار متخيل بين شخص حريدي وآخر تبنى الفكر الحريدي وتخلى عن الحياة العلمانية.

صورة اليهود واليهوديات في مذكرات المؤرخ المقدسي واصف جوهرية العثمانية والانتدابية

الكتاب: مذكرات الموسيقي واصف جوهرية

الكتاب الأول: القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية١٩٠٤ – ١٩١٧

الكتاب الثاني: القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية١٩١٨ –١٩٤٨

تحرير: د.سليم تماري ود. عصام نصار، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس

yahoo.com@Ytahseen٢٠٠١

مراجعة: تحسين يقين

لقارئ المذكرات أن يقرأ ويشاهد بعين واصف جوهرية، عينه الموسيقية للزمان والمكان والناس. لقد أحسن مصمم الغلاف بالتعاون مع المحررين د.سليم تماري ود. عصام نصار في تقديم واصف على غلاف الجزء الأول يحمل عوده الذي أصبح خلفية للقدس، بل نسج علاقة ما بينهما وصلاً وانفصالاً، فظهرت القدس كألحان أصيلة، في حين تقرأ في عينيه مشاهدة ماضي القدس في مقتبل القرن العشرين.

أرخ واصف لفترة ١٩٠٤ – ١٩١٧ أي حتى نهاية الدولة العثمانية، وهي الفترة التي كان فيها واصف طفلاً وفتى مقدسياً، ينتمي لعائلة مسيحية معروفة، عين إن لم تكن صاحبة قرار في الأحداث، فقد كانت تعيش في مركزها.

كنا معا!

كنا هنا، معاً، نبدع ونغني، فالمدينة التي لا تغني ميتة، ولم نكن أمواتاً قط رغم الحروب. كنا معاً، في تنوع وتعددية أصيلة لا متكلفة، ولأجل ذلك يمكن اعتبار المذكرات وصية لحمل روح القدس في نفوس الأجيال، قدس واصف جوهرية، الإنسانية وليس الحجارة فقط.

ما بين القدس العثمانية والقدس الانتدابية قضى واصف حوالي ٥١ عاماً، خبر فيها الكثير، فجاءت الذكريات انعكاساً أصيلاً لما شاهد وشارك فيه عن قرب، أي هو الراوي عن شيء رآه فعلاً، وبهذا فهو لا يقدم مذكراته فقط بل شهادته الصادقة على الحياة التي عاشها كما هي بدون رتوش.

إن أهمية المذكرات ثقافياً وأدبياً هي أولاً في عنصر الصدق وعدم الادعاء، فرغم الثغرات في الصياغة والترتيب واللغة، إلا أن الصدق كان عنصر النجاح الحاسم، فهو يعرض لحياة القدس في صدق الوصف للحياة، وما فيها من جديد، حيث حداثة العصر تدخل حياة الناس، وفي صدق تصوير الحياة الاجتماعية، في تصوير النفوس والرغبات والأحاسيس والمشاعر المادية والمعنوية، فلم يظهر الناس ونفسه قديسين ولا شياطين، بل أظهرهم كما هم بشر.

والمذكرات فرصة لإعادة النظر بالدولة الإسلامية مفتوحة الحدود مهابة الجانب، فحين يتحدث الجوهرية عن المدن والبلاد تحس بقربها، فهذه دمشق الشام مثل القدس وهكذا. ويأتي في هذا السياق العيش المشترك التعددي الحقيقي لا التعددي المفتعل، يشهد واصف على ذلك، الأديان الثلاثة، الأجانب، التسامح، والمحبة، فهو قريب جداً من عائلة الحسيني المسلمة، فهذا شهر رمضان وأعياد المسيحيين واليهود وبهجة أهالي القدس والطقوس والمواسم جنباً إلى جنب أيضاً مع حداثة المسارح والمقاهي التي كانت مسموحة.

بداية نفوذ اليهود في الانتداب البريطاني

من الطبيعي أن يكون حضور اليهود في المذكرات الانتدابية أكثر بسبب زيادة عدد اليهود الذين حظوا بتقريب سلطات الانتداب لهم عمن سواهم.

ثمة ارتباط بين صورة الإنكليز في القدس بعد الاحتلال وصورة العثمانيين، وقد ذكرنا الشق الخاص بصورة العثمانيين ومشاعر الأهالي تجاههم في الجزء الأول وزوال حكمهم في الجزء الثاني. قد يبدو للقارئ السريع ان هناك تناقضاً في موقف واصف تجاه العثمانيين في مجمل الكتاب بجزأيه، لكن واصف كان منسجماً مع نفسه وفكره وواقعه الاجتماعي وانتمائه الوطني والقومي والثقافي، فقد كره واصف ظلم الأتراك "دار الظالمين خراب" وفرح كغيره بالخلاص من هذا الظلم، لكنه لم ينس إيجابيات العثمانيين من حيث اتصال البلاد بعضها ببعض (الأقطار العربية) خصوصاً إقليمي بلاد الشام ومصر، أو من حيث احترام العثمانيين لأصحاب الأديان الأخرى، وخصوصياتهم كما ذكر واصف عن الاحتفالات الدينية. وهو ينسجم مع موقف الناس هنا مسلمين مسيحيين ويهود، في الرغبة بالخلاص من الظلم، وفي الوقت

نفسه عدم رغبتهم بسقوط الدولة العثمانية لأن البديل عنها كان الاحتلال الأجنبي.

وهذا ينطبق أيضا على الشعور الفلسطيني وبشكل خاص شعور المقدسيين الذين عاش معهم واصف فترة قدوم الإنكليز. فقد ربطوا مجيئهم بالخلاص من الاستبداد العثماني، لكنهم سرعان ما انتبهوا إلى سوء الاحتلال الذي يعمل على تسليم البلاد لليهود لتنفيذ وعد بلفور، ولم تمض سوى بضعة اشهر فقط على تلك الفرحة المزورة.

ويبدو ذلك واضحاً على لسان أبو عيد الدلال المقدسي الذي روى عنه واصف شتائمه على الإنجليز "الله يرحمك يا تركيا .. ويرحم حكمك .. قال إنكليز!! جبنا الأقرع ليونسنا كشف قرعته وخوفنا .. يبلاك بالكسر يا انكلترا .. ويلحقك بتركيا".

إنه شعور حذر تجاه الإنكليز سرعان ما لمسنا الحنين لعهد تركيا، فالاستبداد والظلم ولا نهب البلاد والاستعمار والوطن القومي اليهودي المزمع إقامته في فلسطين.

يظهر من خلال المذكرات أن الإنكليز لم يعاملوا أهل البلاد معاملة واحدة، بل تحيزوا لليهود، وهذا ما ظهر في تولية اليهود مناصب قيادية في الأمن والأراضي.

فرغم إنجازات الانتداب في تأسيس الدوائر الإدارية وتحديث بعض القوانين التي أصلاً بدأت قبل قدوم الإنكليز منذ الإصلاح الدستوري العثماني، الا ان قراءة الفلسطينيين للنوايا البريطانية جعلتهم يصطدمون معها مبكراً كان ذلك عام ١٩١٨ – ١٩٢٠، وبعد ذلك، لقد كان الاصطدام بين الشعب الفلسطيني مع الإنكليز بشكل خاص بسبب وعد بلفور والسياسة الإنكليزية التي تمهد للوطن القومي لليهود هنا بشكل أساسي.

فرغم انه من الطبيعي ان يحدث هناك تناقض بين الشعب والاحتلال الإنكليزي، الا ان ما زاد هذا التناقض عمقاً هو تحالف سلطات الاحتلال مع الحركة الصهيونية. واعتبر الفلسطينيون الإنكليز خائنين للأمانة. وقد وصف واصف جوهرية بعض هذه المظاهرات كما في مظاهرة موسم النبي موسى.

لذلك رأى الفلسطينيون ان حالهم مع الاحتلال الإنكليزي الذي يمهد لوطن قومي لليهود بإجراءته ينطبق عليه المثل الذي ذكره واصف "أول الرقص حنجلة".

ولم يكن الإنكليز كلهم ضمن صورة نمطية واحدة، بل عمد واصف إلى ذكر الجوانب الثقافية والإنسانية لهم، فهو يشيد بزوجة ستورس الحاكم العسكري للقدس وكريماته في حسن الضيافة، كما يذكر شيئاً عن الثقافة والفن والاستشراق الإنكليزي، كما تحدث عن النظام والاحترام لدى مسؤولي الدوائر. بل وصل به الأمر إلى الإشادة بشخصيات إنكليزية رفضت المخططات الإنكليزية لفلسطين:

"كان المستر كامبل من أطيب رجالات الإنكليز الذين دخلوا في الحملة من مصر عند الاحتلال، وكان دمث الأخلاق متواضعاً وإنساناً في كل ما لهذه الكلمة من معنى، حتى أنه تبين لنا كمرؤوسين بأنه كان ذا وجدان، وكان من الرجالات المعارضة لسياسة الإمبراطورية البريطانية وقصة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وكان عادلاً في أحكامه ويعطف على العرب لما هم عليه من حقوق.

منذ سقوط القدس أصبح للإنكليز واليهود دور في رسم سياسة القدس، فكانت جمعية محبي القدس التي أنشأها الحاكم العسكري بمثابة وسيلة تتعامل مع القدس القديمة للمحافظة على شكلها التاريخي، وكان ذلك مبررا فقط للتدخل فيها، وما إزالة برج باب الخليل الذي بني تخليدا لليوبيل الفضي للسلطان عبد الحميد إلا دليلا على الاستبداد والتدخل فيما لا حق لسلطات الانتداب به من ناحية قانونية بذلك، ومن خبث الحاكم العسكري أنه أدخل إلى الجمعية مسلمين ومسيحيين ويهود ليمنح لتدخلاته بالقدس شرعية.

ظهرت حداثة القدس في الأسماء الأجنبية للمحلات ودخول الراديو وتأسيس الإذاعة، ووجود السينما والمسرح والعملة الجديدة المرتبطة بالمؤسسات الجديدة، لكن واصف انتقدها كونها تحمل كلمات أرض إسرائيل.

اليهود في "القدس الانتدابية"

من يطلع على المذكرات المكتوبة بصدق بعيداً عن التكلف أو الاستعداء يجد كيف خربت الصهيونية النسيج المقدسي والفلسطيني بشكل عام بين الناس هنا على اختلاف أديانهم، فبعد ان كان اليهود الفلسطينيون جزءاً أصيلاً من المجتمع الفلسطيني أصبحوا هم والوافدون الجدد (المهاجرون) ينفصلون عن المجتمع الفلسطيني (خصوصاً اليهود الفلسطينيين) تدريجياً حتى وصلت الأمور إلى الانفصال النهائي.

وبسبب انحياز الإنكليز لليهود، بسبب وعد بلفور والتحالف اليهودي الإنكليزي فقد كره الفلسطينيون مسلمين ومسيحيين الإنكليز بسبب هذا التحيز ونية تخريب مستقبل فلسطين، كما كرهوا اليهود لارتباطهم بالغازي أيضاً.

وخير دليل على ذلك تلك الصور التي قدمها واصف في مذكراته، حيث لم يكن يذكر المواطن اليهودي بأن يسبق وصفه

باليهودي فلان، فقط كنا نعرف يهوديته من خلال الاسم. تماماً كما لم يكن قاصداً تقسيم باقي الناس الذين تحدثهم إلى مسلمين أو مسيحيين، وكان يحدث ذلك بشكل تلقائي لمجرد الذكر لا لمقصد عنصري.

لذلك يمكن أخذ واصف كمثال للنظرة الفلسطينية (باستثناء اليهود فلسطينيي الأصل) وكيف تطورت من الإيجابي والعادي إلى السلبي وغير العادي انسجاماً مع سلوك النخبة الصهيونية المتحالفة مع الإنكليز والتي فصلت اليهود عن الفلسطينيين، بل وجعلتهم يستعدونهم ويخونوهم. فالصهاينة بالطبع هم المسؤولون عن بناء هذه الصورة في فلسطين، تماماً كما بنوها بعد ذلك في أوروبا، حيث ورطت الصهيونية اليهود الفلسطينيين هنا، واليهود في الخارج على حد سواء.

كان اليهود الفلسطينيون جزءاً أصيلاً من تعددية القدس وفلسطين، ولم يكن هناك مشكلة، بل كان وجودهم مفيداً لباقي السكان، وكانت صورة اليهود إيجابية لدى الفلسطينيين لأنهم مجتهدون ومتعلمون ومهنيون ورأسماليون.

وقد ظهرت مستويات اليهود تبعاً لأوضاعهم المعيشية والاقتصادية والمهنية، فقد ذكر عن سلمون الخياط الماهر، والكندرجي والصائغ كأصحاب مهن، كما ظهر تذوق اليهود للغناء والموسيقى، كما أتى على ذكر الجامعة العبرية كصرح علمي له دلالة على العلم والتقدم. كما ظهر موسيقيون ومغنون من الجنسين، وليس هذا فحسب بل، ظهر اليهودي العربي مثل الفنان زكي مراد وابنته ليلى مراد من مصر وزياراتهم لفلسطين، وعازف العود في فرقة بديعة مصابني، كما استخدم عبارات احترام للأسر اليهودية مثل قوله "بيوت الأسر اليهودية الأصلية الراقية".

أما بدايات تهشم الصور اليهودية في نفوس الفلسطينيين، فقد ارتبط ذلك مع سياسات الحركة الصهيونية في الهجرات والاستيلاء على الأراضي لإقامة وطن قومي لهم.

وقد بدأ نفوذ اليهود منذ اليوم الأول لسقوط القدس بين بريطانيا التي أرادت وضع صليب في مكان تسليم القدس في محلة الشيخ بدر (روميما) لتخليد هذا اليوم، الا ان اليهود رفضوا، فلم يقم ذلك الصليب، وهذا التحالف الذي سيفضي إلى دولة يهودية جعل اليهود "يتحملون سكارى الجيش الإنكليزي بطيب خاطر" كما ذكر واصف جوهرية.

وقد بدأت الصور السلبية بالظهور مع الكشف عن سوء النوايا الصهيونية، لذلك ذكر لنا واصف عن أغنية سياسية تغض من اليهود وتنتقص منهم.

كما روى روايتين كوميديتين أوحى بهما عن خوف اليهود، الأولى خوفهم من (بسة) أي قطة، حسب صاحب أحد المحلات، فأغلق اليهود محلاتهم وهربوا، والثانية عن بائع رمل حسب اليهود أنه "رومل" وصل إلى القدس، ورومل هو قائد عسكري ألماني، ومعروف عن العلاقة السيئة بين اليهود وألمانيا في ذلك الوقت.

صورة واحدة سلبية ظهرت في اليوم الأول لسقوط القدس تجاه اليهود، حين رفض مواطن ان يدوس حاخام يهودي على سجادة فرشها ذلك المواطن للجنرال اللنبي في القدس، حيث رأى ذلك المواطن أن ذلك امتياز خاص فقط بالقائد الإنكليزي.

إذن كانت الصورة عادية لولا خرابها على يد الصهاينة، فهذا واصف يذكر قصة نزاع بين شبان عرب ويهود في أحد أعياد اليهود، لم يحملها فوق طاقتها، واكتفى بالوصف بدون استعداء اليهود.

لكن واصف حين يذكر الأعمال الإرهابية اليهودية في القدس أصبحت لغته تستعدي اليهود، خصوصاً في القسم الأخير حين أرخ لآخر فصول النزاع الدموي عام ١٩٤٨.

نساء اليهود

جاء التعرض لصورة اليهوديات ضمن صور النساء في المذكرات بشكل عام؛ في الجزء الأول، ارتبطت النساء بحديث الليل والنشاط الفني، وأصحاب الذوق واللهو، كما ارتبطن بالأعيان من عرب وترك وأجانب، وهن الخليلات المعشوقات العاشقات، فذكر أدوارهن اجتماعياً وجمالياً وسياسياً، وإن أبرزهن واصف كخليلات، وذكر أسماءهن وأسماء الأعيان العشاق. كان للجميلات دور اجتماعي في الهلال الأحمر لتشجيع التبرعات، كما كان لهن دور تنويري لم يفصله واصف. وقد يستشف القارئ بعض الدلالات في علاقة النساء بالرجال (النخبة) وهي دلالات خفية لها بعد سياسي، لم يحمله واصف أكثر مما يستحق، فلم يركّز على أثر النساء اليهوديات مثلاً على رجال النخبة، بل تصرف بذكاء حين جعل لكل الحسان نصيباً في ذلك، كان مبتغى الرجال هو الحب والمتعة كما تتميز به تلك النساء وطوائفهن من تحرر نسبي غير موجود لدى النساء المقدسيات المحافظات، وقد استغرق واصف جوهرية في التحدث كثيراً عن هذا الجانب الأثير لديه، لمشاركته فيه ولدوره الفني الذي له علاقة بالليل، ما ينبئ أن المدينة المقدسة كان لها سطح محافظ نهاري، وسطح متحرر ليلي، فيه الابتسام والمجون والموسيقى.

وقد تابع ذلك واصف في الجزء الثاني في المرحلة الانتدابية، في الوقت الذي سار فيه على المنطلق نفسه وهو عدم الربط التقليدي بين ضياع البلاد وعلاقة رجال النخبة بالنساء الوافدات خصوصا النساء اليهوديات، حيث جعل واصف الأمر فرديا ليس له علاقة مباشرة بالسيطرة الأجنبية وتسهيل وصول الأراضي للملكية اليهودية وشيوع الثقافة الغربية كنقيض للثقافة العربية، فليس هناك اتهام وربط تعسفي، بل كان وصفه لعلاقة الرجال بالنساء امتدادا للعلاقة نفسها في المرحلة العثمانية، فكان الوصف ينبع من أثر وجود التعددية الاجتماعية للقدس والمرتبطة بالتعددية الدينية بمن فيهم نساء اليهود المهاجرين الى فلسطين ونساء اليهود الفلسطينيين، ونساء زوار المدينة أو الوافدات من بلدان وثقافات مختلفة.

فالنساء اللواتي أقمن في القدس وغيرها، من المقدسيات الأصل أو الوافدات من أجنبيات ويهوديات بشكل خاص وجدن مكانا في الجزء الثاني من المذكرات، وإن لم يصف ذلك حميميا كما كان في الجزء الأول (خليلات الأعيان).

اليهوديات

باستقصاء صورة اليهوديات في المذكرات الجوهرية (القدس الانتدابية) فإننا نلاحظ ما يلي:

- ان اليهوديات المروي عنهن هن يهوديات وافدات من خارج فلسطين، وقليلاً ما ورد عن يهوديات من أرض فلسطين، وقد يعود ذلك إلى افتراض من الباحث إلى ان اليهوديات الفلسطينيات كن أكثر محافظة من سواهن مثل المسيحيات والمسلمات.
- ظهرت اليهوديات وإن كان بشكل اقل من الجزء الأول كخليلات لأعيان القدس، فذكر في الجزء الثاني خليلة راغب النشاشيبي التي تزوج منها بعد ذلك، وهي فرنسية الأصل.
- انفتاح اليهوديات الأجنبيات من خلال:

– حديثه عن حسناوات الفنانين اليهود في حفلات تل أبيب التي حضرها مع أصدقائه الإنكليز من محبي الفنون.

– وصفه لهن بفاتنات (مثل فاتنات القوميانية).

– بيعهن الخمر (حانة حنة)

– صاحبات ملاهٍ ليلية.

– فنانات: مثل سلطانة اليهودية المغربية التي تمتهن الرقص والغناء.

– بائعات هوى: وإن لم يذكر ذلك صراحة، لكنه أوحى بهذا المعنى وربطه في سياق التواجد العسكري الإنكليزي والذي أقام جنوده علاقة مع يهوديات، ففي اليوم الثاني لسقوط القدس بأيدي الإنكليز يذكر واصف "هناك في محلة روميما، قد لفت أنظارنا تعلق اليهود، وبخاصة في تلك الأحياء، بالجيش البريطاني، فكنت ترى الجيش وهو في طريقه إلى المدينة محاطاً بآنسات اليهود ... من جهتي الطريق .. يراقصنه يرافقنه ويونسنه ويتكلمن معه الإنكليزية بوجه باش، ويستقبلنه بحرارة زائدة إلى أن يتفرق في أطراف المدينة".

ولئن تركن الجيش بعد ان يتفرق في القدس، فإن هناك نصاً يحكي عن العساكر الإنكليز السكارى وخشية الأهالي منهم ان يعبثوا (يقصد ربما التعرض لنساء القدس العربيات) حيث يرى واصف أن وجود الأحياء اليهودية خارج السور ساهم في تفريغ العسكر الإنكليز لعبثهم هناك بعيداً عن الجو المحافظ.

ويمكن عقد نوع من المقارنة بين اليهوديات وغيرهن في المذكرات، لإلقاء الضوء على دلالات اجتماعية وسياسية.

فمثلا لم تبتعد صورة النساء العربيات (السلوك والصور الفوتوغرافية) عن الصورة النمطية، فقدمن بلغة محافظة، وربما يعود ذلك إلى أن المتلقي للمذكرات افترض فيه واصف المحافظة أو القربى والصداقة، ولم يشأ أن يتجرأ كثيراً في الوصف، فالنساء المسلمات والنساء المسيحيات (والأرثوذكس اليونان) بشكل خاص لم يكن هناك كثير اختلاف سوى في الشكل والملابس ليس أكثر.

وكانت ادوار العربيات أدوار تقليدية تتمثل في رعاية الأسرة وأعمال البيت، ولم نر غير ذلك إلا القليل مثل سيدة مسيحية كانت تدير فندقاً في أريحا، وسيدتان أدارتا فندقاً في حيفا، والسيدة فكتوريا قبل أن تصبح زوجته التي أيضاً أدارت فندقاً في أريحا.

رأينا صورة أم واصف، وأم بعض الأصدقاء، من المسلمات والمسيحيات، وهن أمهات تقليديات محبات لأبنائهن. أما النساء الأجنبيات فبعضهن من مستويات عليا، كزوجات الحكام الإنكليز العسكريين والمدنيين والسفراء، مثل زوجة ستورس الحاكم العسكري للقدس وكريماته اللواتي كن يضيفن في إحدى حفلات ستورس، وهو دور تقليدي بالطبع. بالإضافة للنساء من الطبقات الأدنى وبشكل خاص النساء الأجنبيات اليونانيات واليهوديات، وغيرهن من كن خليلات لأعيان القدس.

وقد ظهرت النساء الأجنبيات اللواتي تزوجن مقدسيين خصوصاً المثقفين منهم الذين درسوا في الخارج ورجال النخبة،

وبسبب علاقتهن بناس معروفين لم يستطع واصف الإطناب في الحديث عنهن.

ولأن مكانة المرأة العربية كانت شديدة الاتصال بالشكل النمطي المعروف الذي يستبعدهن، وانسجاماً مع استبعاد الثقافة الدينية لهن خاصة الثقافة المسيحية (منع النساء من الدخول إلى دير مار سابا مثلاً) فقد ملأت الوافدات هذا الفراغ في الحيز الاجتماعي من حفلات وعلاقات وأعمال.

لذلك ظهر هناك ميل لدى واصف وبعض النخبة للاتجاه نحو المساواة ومنح المرأة حقوقها، فهذا واصف يغني أمام إحدى الشخصيات الثقافية الوافدة لزيارة القدس في بداية الأربعينيات الا وهو د. منصور فهمي أغنية بداياتها:

أشقيقتي هبي لننصر قومنا
سنعيد مجد العرب إن سرنا معاً

ص ٤٧٣

لقد ارتبط الزواج من أجنبيات لدى النخبة والأعيان بالزواج المختلط أيضاً، حيث تحدث عن زواج بعض المقدسيين من مسيحيات، مثل زواج كامل البديري من حنة، الذي وثقه واصف غناءً

حنيني يما يما حنيني
لا تجنن واطلع عن ديني
يا عربجي دير الفيتون
ع دار البديري وديني
حنة واقفة ع البلكون
تنده لكامل بالتلفون
طقوا موتوا يا بنات الروم
دين محمد على ديني

في سياق النظرة للنساء، يقارن واصف نساء فلسطين باللبنانيات، ويعتبر النساء الفلسطينيات لم ينلن حظاً من الحياة ومباهجها كما نالت اللبنانيات، وقد ظهرت الرواية عن النساء اللبنانيات في سياق زياراته إلى بيروت للتنزه، بل إنه روى كيف كان محكماً (عضو لجنة تحكيم) ملكة جمال في بيروت.

نقد التهويد غنائيا!

واصف موظف إداري عمل في النهار، وغنى في الليل للبرجوازية والإنكليز، كما غنى للعثمانيين من قبل، وساهم في الأغنية السياسية المحذرة للخطط الاستعمارية حتى أن ستورس الحاكم العسكري للقدس أصر على سماعها منه، ليس هذا فحسب بل المندوب السامي نفسه:

طلع يا ما اصعب نصه تلغراف سان ريمو
واللي يقول لك ما بيخصه ربنا لا يعينه دور
ما قريتش يا خويا اخيرا في جريدة الكرمل
مصيبتنا السودة بتعيين المستر صموئيل
ومن في الدنيا ما سمعشي دلال بيدلل
واللي ما بيعجبوش من الصبح يحمل دور
لا تقول مسيحي ومسلم ما دام باعونا
كيف بدنا بكره نسلم للي اشترونا
كلمة (شالوم) يا خونا راح يجبرونا
وكمان (ماشلومخا) يا ربي تفرجها علينا دور
بدال عن اسم انور وجمال حكمونا
شبتاي وشلوم وحايم اللي يكرهونا
يا خسارة عليك يا وطنا راحت رجالنا
وبيظهر غزلانا تقلبت بقرود حوالينا

وقد مثلت حياته ونشاطاته بعدين متناقضين:

– فرح وسرور بسبب الفن والحفلات.
– قلق بسبب الاحتلال والصهيونية.

والنص الآتي من المذكرات يوضح ما سبق من مفارقة:

"اسمحوا لي بكلمة موجهاً هذه الكلمة إلى راغب بك، فسكت العازفون والحضور في الحال، قال علي بك إلى راغب بك "يا راغب والله لم ار في حياتي أصعب من مسألتين فقط".

راغب بك: وما هم يا أبا الحسن.

علي بك: دوزان القانون في عين كارم وسن القانون بالقدس".

وكان كلمة مأثورة معناها الخاص، إذ كان علي بك بصفته من رجالات القانون المتازين عند العرب في ذلك الزمن عين في زمن الانتداب مع المستر بنتويتش الصهيوني النائب العام على ما اعتقد، عين في لجنة سن قوانين الانتداب في فلسطين، ولما كان ميل المستر بنتويتش إلى سن كل مادة من التشريع كما نصت المادة الثانية من مواد الانتداب البريطاني التي تقول: "الحكومة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي".

مكتبة

إعداد: تماضر محمود ملحم

اسم الكتاب: الطريق الى الفينتيؤون

المؤلف: اودي لبل אודי לבל

دار النشر: كرمل القدس

تاريخ الاصدار:كانون الثاني ٢٠٠٧

عدد الصفحات:٤٩٢

تعني كلمة فينتيؤون بالمفهوم الإسرائيلي " المكان التي يقبر فيه عظماء الامة "

يتناول الكتاب :

- ارتباط ذاكرة المجتمع مع القوة السياسة المتحكمة.
- العلاقة بين ثاكل وطني والشرعية السياسة الاجتماعية.
- اعتبارات وقرارات سياسية.
- اغراق سفينة الطلينا.
- عناية الحكومة وتعهد الدولة بالعائلات الثكلى في إسرائيل.
- حديث عن زئيف جبوتنسكي.
- التحقيق بمقتل ارلوزوروف.
- مسح ذاكرة المجتمع.
- الاعتبارات السياسية في التخليد القومي.

يتعقب الكتاب مكانة وحدتي "إتسيل" ("منظمة عسكرية قومية" تأسست سنة ١٩٣١) ووحدة "ليحي" (محاربون من اجل حرية إسرائيل) في الذاكرة الإسرائيلية.

صرح ديفيد بن غوريون: "لن اعترف بحركة هإتسيل"، هذا القرار اتخذ في الوقت الذي طلب منه ارسال رثاء الدولة ومعونتها للعائلات الثاكلة. لاعتبارات سياسية طرد محاربو وحدتي هإتسيل وليحي من المقبرة العسكرية.

اعضاء الحركة السرية المجهولون حكم عليهم بالبقاء كمجهولين حتى بعد موتهم. فبن غوريون قرر التعامل معهم كمنتحرين، ودفنهم خارج جدران المقبرة اليهودية. فحتى "ابطال معسكر رفيزونسطي"، هذه الوحدة التي تأسست سنة ١٩٢٥ التابعه للحركة الصهيونية، تحت قيادة القائد الصهيوني زئيف جبوتنسكي، لم يجدوا مكانا لهم في المقبرة العسكرية .

يشير الكتاب إلى ان ذاكرة المجتمع تأسست على يد حزب مباي الذي حول الذاكرة وكأنها ملك له، وقرر ان فينتيؤون رمز قومي لا يسمح ان يدخل اليه كل انسان، وكل ذلك من أجل ان يدرك المجتمع تميز حزب مباي والقائد ديفيد بن غوريون . فالتخليد القومي لا يستحقه غير الإسرائيليين المقدسين .

اسم الكتاب: احتلال ورفض

تحرير : يشي مونحين ישי מונחין

دار النشر: كريخاه رخاه

تاريخ الاصدار: كانون الثاني ٢٠٠٦

عدد الصفحات: ١٥٩

عدم إطاعة المواطن وانضباطه للدولة، هي إحدى القضايا الشائكة بمجمل العلاقات بين الفرد والدولة. عدم الانضباط للقوانين بدولة ديمقراطية، هي مسألة محيرة ومربكة للدولة التي تستمد قوتها من دعم الأغلبية لها.

يحتوي هذا الكتاب على مواضيع نظرية، رسومات وصور، من اجل إلقاء الضوء على قضايا متنوعة ذات صلة بظاهرة عدم الامتثال للدولة ورفض الاحتلال . تتمعن هذه الصور والرسومات في الاحتلال ورفضه من منطلق سياسي، فلسفي، مبدأي . كما وان الكتاب يتناول العلاقة بين الاحتلال الإسرائيلي والشعب الفلسطيني.

اسم الكتاب: نهاية الطريق

تأليف : تصور شيزف צור שיזף

دار النشر:عام عوفيد

تاريخ الاصدار:ايار ٢٠٠٦

عدد الصفحات:٣١٤

يتعرض الكاتب للمجتمع الإسرائيلي باسلوب ناقد . ويظهر تفشي الرأسمالية فيه وتحولها لجزء من حضارته وثقافته. ينتقل الكتاب ما بين المناظر الطبيعية للبلاد، والحنين لتحويل المشروع الصهيوني لحقيقة. كما وانه يطرح الأخطاء التي ارتكبتها الصهيونية ووضعها الحالي.

اسم الكتاب: نقطة اللاعودة- الاستخبارات الإسرائيلية مقابل إيران وحزب الله

تأليف : رونن برجمان רונן ברגמן

دار النشر: كنيرت

تاريخ الاصدار:حزيران ٢٠٠٧

عدد الصفحات:٦٠٧

يتناول الكتاب حرب جهاز المخابرات الإسرائيلي ضد إيران وحزب الله. حرب خفية قائمة بين الجانبين. يكشف الكتاب ما يلي:

-معلومات حول الحرب السرية بالاعتماد على وثائق سرية ومحادثات مع شخصيات قيادية من عشرين دولة.

-قضايا وعمليات خفية لم يكشف عنها من قبل.

- وثائق حول المشروع النووي الايراني.

-ارسال اسلحة بصورة سرية من إسرائيل لايران.

-العلاقه بين ايران واسامة بن لادن.

-المحاولات الجاهدة لاسترجاع رون اراد.

-حرب لبنان الثانية.

يقول الكاتب إن الرؤية العامة الإسرائيلية لإيران هي اعتبارها العدو الاكثر خطورة على أمن الدولة، لكن هل من دراية حقيقية لدى الإسرائيليين حول الاسباب التي ادت الى صعود الخميني للحكم، مبنى الحكم في طهران، الأسباب التي تبقيه في الحكم، ....؟ من المسؤول عن الارهاب في ايران ؟ ما سبب استعدادها لدفع ثمن باهظ من اجل الاستمرار بالارهاب؟ ما هي دوافع ايران؟ ويستنتج الكتاب أن التحدي الذي وضعته ايران وحزب الله هو القضاء على دولة إسرائيل.

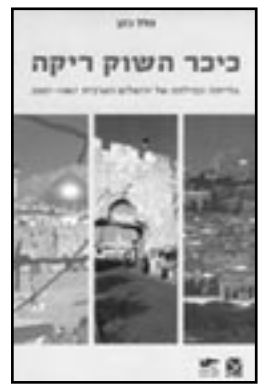

اسم الكتاب: ميدان السوق فارغ

تأليف : هيلل كوهن הלל כהן

دار النشر:معهد القدس للابحاث الإسرائيلية.

تاريخ الاصدار: ايار ٢٠٠٧

عدد الصفحات: ٢١٩

يتناول الكتاب القدس ما بين ١٩٦٧-٢٠٠٧، مع التشديد على الوضع السياسي في شرقي القدس اثر اربعين سنة من الاحتلال الإسرائيلي، يستعرض المؤلف العوامل الفعالة في شرقي القدس في المجال الاجتماعي، السياسي والعسكري، ويقارن بين الفشل والنجاح ويتوصل الى الاستنتاج التالي : انه للاسف احرزت إسرائيل اهدافها في اغتيال السيادة الفلسطينية بالمدينة واستبعاد امكانية تحويل القدس إلى عاصمة لدولة فلسطينية.

اسم الكتاب :بذاتهم يكتبون النشيد .

المؤلف : افرات قنطور. אפרת קנטור

دار النشر : معهد بن غوريون

تاريخ الاصدار :تشرين الثاني ٢٠٠٧

هذا الكتاب يجمع نواحي عدّة ويعرض مفترقات ومفارقات بنشأة القرية الاشتراكية ودولة إسرائيل. يشير هذا الكتاب إلى مجتمع صغير، ولكنه فعال في تأثيره على الهوية القومية.

الكتاب يحاول الإجابة عن الاسئلة التالية: كيف نجحت القرية الاشتراكية " الكيبوتس " في الامتزاج مع البلماح وقيام دولة إسرائيل، وان تصبح ركناً من الذاكرة القومية؟ ماذا

طرأ على مفهوم ارض إسرائيل الكبرى التي كانت حجر الأساس في مفاهيمه؟

كيف كانت ردة فعل القرية التعاونية التي كانت قائمة تحت شعار الوحدة اثر الانشقاقات الداخلية؟

يلقي هذا الكتاب الضوء على مجموعة صغيرة لكنها متحكمة في صياغة الذاكرة الوطنية. الذاكرة كمصدر وكوسيلة بديلة، هي محاولة جديدة خاصة بمجتمع اشتراكي. القاسم المشترك الذي يجمع بين فصول الكتاب هو سيطرة الذاكرة الرجولية .

اسم الكتاب : باجسادهن ووجدانهن .
المؤلفة : ايزابيل فينسينت איזבל וינסנט
دار النشر : كيتر
تاريخ الاصدار : تشرين الأول ٢٠٠٧
عدد الصفحات : ٢٥٥ صفحة .

يقص الكتاب حكاية ثلاث فتيات جميلات يتركن المدينة اليهودية في بولندا بهدف التحرر من الفقر وقلة الحيلة في حياتهن . هؤلاء الفتيات الساذجات يحلمن بأميركا، وما يجهلنه ان الزوج الشاب والعم والحبيب هم سماسرة قساة القلب، وأعضاء في منظمة "تسفي مجدال" اليهودية، حيث يديرون شبكة بيوت للدعارة في عدة بلدان .

اثر بحث جاد، تكشف ايزابيل احدى القصص المحزنة والمخجلة في تاريخ الشعب اليهودي . فما بين سنة ١٨٦٠ وحتى ١٩٣٩ تمت التجارة بآلاف الشابات اليهوديات من شرق اوروبا .

يتناول الكتاب حكاية صوفيا حاميس، راحيل ليبرمان، رفقه فريدمان وفتيات اخريات وقعن في أيدي أعضاء المنظمة وعملن في الدعارة بجنوب اميركا . ومع مضي السنين فقدن الامل وبعضهن وضع حداً لحياته، وبعض آخر حارب من اجل كرامته.

اسم الكتاب : ان تكون يهوديا.
المؤلف : افي ساغي אבי שגיא دار النشر : الكيبوتس الموحد ومركز ربوبرت، جامعة بار ايلان
تاريخ الاصدار : تشرين الأول ٢٠٠٧
عدد الصفحات : ٢٨٦ صفحة

يحاول الكتاب ان يتطرق لمفهوم برنر الذي يتطرق للنظرة الفلسفية التي تتعلق بنشأة ومعنى حياة الانسان، ادعاء الكتاب هو ان مفهوم برنر للقيام اليهودي ينبع من تلك النظرة الفلسفية.

ان تكون يهوديا هو محاولة للاصغاء لبرنر، أي السير في اتجاهه من اجل تعلم معنى اليهودية كما خطط له، وفحص مدى ملاءمة افكاره ومفاهيمه في ايامنا هذه.

اسم الكتاب : ماركوس كلينغبرغ – العميل الاخير.
المؤلف : ماركوس كلينغبرغ، ميخال سفاراد מרקוס קלינגברג עם מיכאל ספרד
دار النشر : معاريف
تاريخ الاصدار : ايلول ٢٠٠٧
عدد الصفحات : ٤٢٣ صفحة

اصدر الكتاب بالتعاون ما بين ماركوس ومدعيه العام ميخال سفاراد . يكشف كتاب "العميل الاخير" الأسلوب الذي جند به وعمله لسنوات عدة لصالح الاتحاد السوفييتي، ويعرض سلسلة من الوثائق والمشاهد التي لم ينجح جهاز المخابرات في معرفتها .كما يعرض الكتاب نشأته– فقد ولد لعائلة متدينة بقيت في بولندا حتى الحرب العالمية الاولى، ومن ثم انتقلت الى باريس.

حياة العميل اتصفت بالتناقضات الايديولوجية السياسية في القرن العشرين، كتاب "العميل الاخير" هو ايضا حكاية القرن العشرين. نقل العميل المعلومات التي اطلع عليها في مهنته، كنائب مدير علمي في المعهد البيولوجي في نس تسيونه، لفترة ثلاثة عقود حتى تم القبض عليه في شقة تقع شمال تل ابيب .رأت مصادر إسرائيلية أمنية ان هذه العملية التجسسية ادت الى ضرر امني بالغ لإسرائيل.

اسم الكتاب : حرية صعبة – مقالات حول اليهودية.

المؤلف : عمنوييل لفينس.עמנואל לוינס

دار النشر : رسلينغ

تاريخ الاصدار : ايلول ٢٠٠٧

عدد الصفحات : ٣٤٥ صفحة

يحتوي الكتاب على إفادات وشهادات قيمة تعكس الاحداث السياسية والاجتماعية ما بين سنوات ١٩٥٠–١٩٧٠ .

أضف إلى ذلك فهو يحتوي على صور تعكس الحياة اليهودية ما بعد الحرب العالمية الثانية مثل الكارثة اليهودية، تحرير دول آسيوية من الاستعمار .

هذه النظره التمعنية جاءت لتشير الى الاتجاه الروحاني عند الفتية اليهود ما بعد الحرب. الكاتب لم يتوقف عن نقد التحليلات للمصادر اليهودية خصوصا تلك التي حولت اليهودية لتاريخ متحجر. لذلك ففي هذا الاطار يقرأ الكاتب التاريخ من خلال المشاحنة مع المسيحية.

هذا الكتاب يعتبر من اهم مؤلفات لفينس، فهو يتطرق لليهودية في مجالات متعددة، وقسم من هذه التنظيرات تم نشرها في صحف مختلفة. هذه التنظيرات تعكس صدى لعاصفة ذهنية من قبل علماء ورجال دين وعدد من علماء النفس الديني ...

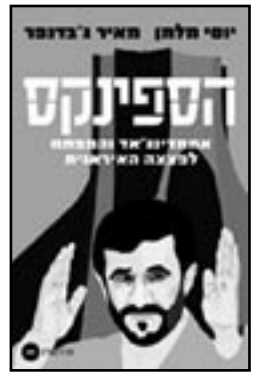

اسم الكتاب : ابو الهول –احمدي–نجاد ومفتاح القنبلة الايرانية.

المؤلف : يوسي ميلمان ومئير جبدنفر. יוסי מלמו . מאיר ג"בדנפר

دار النشر : معاريف

تاريخ الاصدار : ايار ٢٠٠٧

عدد الصفحات : ٢٩٠ صفحة

يكشف كتاب " ابو الهول " وللمرة الاولى سيرة الرجل "الاكثر خطورة على العالم الغربي"، خلفيته، والصلة التاريخية والاساس الديني للقرارات الاستراتيجة المهمة التي اتخذت في السنوات الاخيرة.

اذهل احمد نجاد منذ انتخابه عام ٢٠٠٥ العالم بتصريحاته المعادية لإسرائيل والولايات المتحده واصراره على تحويل دولة ايران لدولة نووية عظمى.وعلى الرغم من خطورته على إسرائيل الا ان الإسرائيليين يعرفون القليل عنه.

لذلك جاءهذا الكتاب ليتطرق للاسئلة التالية:

١. كيف نجح احمدي–نجاد الكولونيل المجهول في شق طريقه في القيادة الإيرانية؟

٢. لماذا لم تنجح مؤسسة الـ سي أي اي في ان تكشف في الوقت الصحيح، أي في سنوات الثمانين، استعداد ايران لتطوير سلاح نووي ؟

٣. كيف فشل الموساد باغتيال د. عبد القادر خان، مطوِّر القنبلة النووية في باكستان، والمزود التكنولوجي لإيران؟

٤. هل ما زالت هناك فرصة لمنع القنبلة الايرانية ؟

كما وانه يتطرق للموقف الاسرائيلي، فقد يطلب من إسرائيل أخذ القرار الأكثر مصيرية منذ إقامتها : هل عليها التحرك العسكري، طالما أن إيران لن تتراجع عن تطوير السلاح النووي؟

اسم الكتاب اصوات القراء.

المؤلف : حنة ادوني חנה אדוני، هلل نوسق הלל נוסק.

دار النشر:كريخاه رخاه.

تاريخ الاصدار : ايار ٢٠٠٧

أصوات القراء – هو البحث الاكثر شمولا وتركيبا في مجال القراءة بدولة إسرائيل. موضوع القراءة فحص بعدة مجالات وعلى مدار سنوات عدة بواسطة ابحاث نظرية، تحليلية، وتجريبية. موضوع القراءة يفتح المجال لفهم جوانب متعددة من المجتمع الإسرائيلي : الهوية العولمية مقابل الهوية المحلية، تأثير عالم الاتصالات على العلاقات الاجتماعية، الفجوات الاجتماعية والعلاقه بين الجنسين.

النتائج توضح انه على الرغم من الانخفاض في معدل القراءة الا ان هذا

الانخفاض لا يمس بالعلاقات الإنسانية ولا بالسلوك الاجتماعي.

اسم الكتاب :حنة ارندط بالقدس.

المحـــرر :ستـيـفـان اشـهـايم סטיבן אשהיים.

دار النشر : كريخاه رخاه

تاريخ الاصدار : كانون الثاني ٢٠٠٧

لسنوات عدة كانت حنة ارندط محور النقاش العاصف، لنقدها اللاذع للصهيونية، ونشر كتابها ايخمان في القدس سنة ١٩٦٣ ادى الى اقصائها وحرمان ابداعاتها الادبية من النشر في المجتمع اليهودي الإسرائيلي.

يحتوي الكتاب على مجموعة من المقالات التي ترتكز على المؤتمر الاول الذي تناول شخصيتها وابداعاتها باسلوب نقدي منفتح.

هويتها المركبة من اليهودية والالمانية، التزامها الشخصي للصهيونية ولدولة إسرائيل بالاضافة إلى نقدهما، ابداعاتها والعلاقة الحميمة مع الحضارة الالمانية ...استـدعـت مـجـمـوعـة مـن الـبـاحـثـين الاسرائيليين، الالمان وباحثين من الولايات المتحدة لاعداد الكتاب من اجل ملئ الفراغ الذي قد تملؤه شخصيتها .

هـذة المـقـالات المتـنـوعـة تشير الـى نمط حياة قد يلائم ايامنا هذه، كما ان ابداعاتها تشـيـر الـى مـشـاكـل قـائـمـة فـي المـجـتـمـع اليهودي والتناقضات في الهوية اليهودية الإسرائيلية.

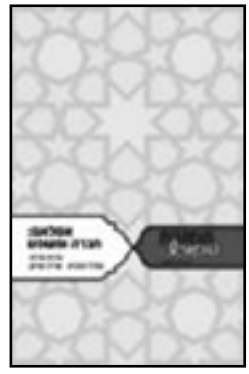

اسم المجلة : الشرق الجديد .

المحررون: نمرود هوروبيتس נמרוד הורוביץ، اوريـيـه فـورمـان אוריה פורמן، إيلي فودة אלי פודה ، حاييم جربرחיים גרבר.

دار النشر : كريخاه رخاه

تاريخ الاصدار : ايار ٢٠٠٦

يـحـتـوي الـكـتـاب عـلـى احـد عـشـر مـقـالا قانونيا. هذه المقالات تتطرق لاجهزة قانونية مختلفة ما بين القانون الاسلامي وقانون دولة إسرائيل والواقع الاجتماعي القائم في هذه الاجهزة.

اربعة منها تناقش التغييرات المستحدثة فـي الـقـانـون الإسـلامـي مـن أجـل ملاءمته للحياة الاجتماعية. مقال إضافي للبروفسور أهـارون بـراك يناقش المشاحنة بين جهاز العدل الإسرائيلى بقوانينه وما بين العادات الاجتماعية واحتياجاتها .

فعلى الرغم من ان القانون وضع كي ينظم الواقع ويمليه بالطريقة الصحيحة، المتوافق عليها، إلا أن للواقع تأثيراً عليها.

سلسلة من المقالات الاضافية تتطرق الى التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه القانون الاسلامي وكيفية تعامله مع تلك التحديات. مقالان اثنان يحاولان الاجابة عن ما هو الاسلام المعاصر في اندونيسيا، وبالاحرى ماذا تعني كلمة معاصر وفقا للعقيدة الاسلامية. واثنان آخران يعرضان التعديلات القانونية في النظام الملكي الاردني والمغربي، اما بالنسبة للمقالين المتبقيين فهما يعرضان تطور المسرح العربي واحتوائه على نقاشات علمية.